السنة الثامنة (ربيع الاول سنة ١٣٦١ هـ — ابريل سنة ١٩٤٢ م) العدد الرابع

صحيفة دار العلوم

صدر ١ ج ١ ع ١٩٣٤ م

تصدرها جماعة دار العلوم

كل ثلاثة أشهر

المدير

محمد نجيب حتاتة

رئيس التحرير

محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير

بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشاً
خارج القطر	٣٠ قرشاً
ثمن العدد	٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ

إِنَّ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَيْنَ تَحْيَا، لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَتَحْيَا فِي دَارِ الْعُلُومِ"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

الربيع بن يونس

للأستاذ محمد أحمد برانق

المدرس بالإبراهيمية

جوهرة ثمينة فريدة ، هي عقد أصابه أناس في بعض بلاد العجم لبعض ملوكهم ، أو هي نخلة كانت لكسرى مصنوعة من الذهب عثا كيلها من لؤلؤ وجوهر وياقوت أحمر وأخضر – حمل الجوهرة من أصابها إلى مصعب ابن الزبير ، والى العراق ، فاشتراها ثم سأل من حوله : إلى من أدفعها؟وكان طبيعيا أن يقترحوا عليه أن يهديها إلى أهله ونسائه ، ولكنه لا يرضى بذلك ويؤثر أن يقدمها هدية إلى رجل أولاه جميلا ، وله عليه يد . ذلك الرجل هو عبدالله بن أبي فروة ، جد الربيع بن يونس ، وكانت تلك الهدية سبب غناه وغنى عقبه من بعده . واليد التي اعترف بها مصعب لعبدالله بن أبي فروة هي أنهما نشأ اكغصنين في نبعة واحدة ، وكانا خليلين لا يكادان يفترقان ، فإذا اكتسى أحدهما كسوة ، اكتسى الآخر مثلها ، فاكتسى عبد الله يوما كسوة ولم يجد مصعب ما يكتسي به مثلها ، لأنه كان قليل المال ، فذكر ذلك عبدالله لأبيه ، فكساه مثل حلته ، وظل مصعب يذكر تلك اليد حتى كبر ،وكانت له مشاركة في السياسة والتدبير ، ثم ولي العراق ، فلما أصاب تلك الجوهرة قدمها إلى صديقه وكاتبه عبدالله بن أبي فروة ، فسر بها كثيرا ،فقال له مصعب: والله لأنا بالحلة يوم كسوتنيها – أشد سرورا منك بهذا العقد الآن.

إذن هي حلة بدريهمات يشتريها أبو فروة لصديق ابنه ، تكون سببا فى جلب خير كثير ومال وغنى يرثه أبناؤه من بعده ، إلا أن أبا فروة صاحب اليد ووالد عبدالله الذى أهديت اليه الجوهرة هو أيضا والد محمد جد الربيع بن يونس ، ولكن الغنى كان فى عبدالله ، وعقبه ، ولم ينل منه محمد شيئا ، فلم يصب أبناؤه منه شيئا .

وأما يونس بن محمد ، فإنه كان « شاريا شاطرا بالمدينة ، فعلق أمة لقوم بالمدينة ، فوقع عليها ، فجاءت بالربيع واستعبد ، ولم يكن ليونس مال ، فيبتاعه ، فابتاعه زياد بن عبدالله الحارثى خال أبى العباس ، وأهداه إليه ، فخدمه وخف على قلبه ، ثم خدم أبا جعفر بعده فخص به » .

إذن : الربيع بن أمة ، ولد عبدا ، ولم يستطع أبوه يونس أن يشتريه من مولى الأمة ، فاشتراه زياد كما يشترى سلعة من السوق ثم قدمه هدية إلى السفاح فيخدمه ، ثم يخدم المنصور من بعده حتى يغلب عليه لخفة فيه ، ورقة طبع ، وحدة ذكاء ، وحسن تأت لما يعرض له من الأمور . فشتان بين مبدئه ومنتهاه .

وكان المنصور يحب الربيع ، ويقربه إليه ، ويخصه بمودته ، ويستشيره فى كثير من أموره ، وأحسن القيام بالحجابة له والعرض عليه وأخلص هو للمنصور ، وظهر إخلاصه فى مناصحته له واختصاصه به ، وظل على ذلك عنده حتى غضب على أبى أيوب الموريانى ونكبه ، ثم فكر فيمن يلى أمر الوزارة له ، فلم يجد غير الربيع ، فأمره أن يجلس فى بيته حتى يأتيه رسوله ، فاضطربت نفس الربيع ، وغلبت عليه الوساوس ، واغتم كثيرا لأنه قد يصيبه من وراء ذلك شر ، وهذا شأن القريب من صاحب السلطان — إن

اطمأن يوما اضطرب أياما . ولما صار إليه الرسول قدم إليه حلة الوزارة ، وأمره أن يلبسها ، ويركب ويذهب إلى دار الخليفة ، فلما ذهب إليها وجد الفرّاش طرح له مرفقة تحت البساط تقصيرا به عن منزلة المهدى وعيسى بن على ، لأنه كان يطرح لهما مرفقتين ظاهرتين ؛ وما كاد يمثل بين يدى الخليفة حتى ولاه وزارته والعرض عليه ، وولى ابنه الفضل الحجابة .

أما الربيع فإنه منذ تولى الوزارة والعرض ، حسن طبعه ، ودمث خلقه ، ولان ملمسه ، ورق مظهره ، وطاب مخبره ، وعرف المنصور ذلك فيه ، فكان إذا أراد أن يعطف على إنسان ، ويوليه جميلا ، ويقدم إليه يدا — أحاله على الربيع لميله إلى ذلك فى تصرفه .

وكان ذلك المذهب فى سياسة الدولة وتدبير أمورها ؛ يحبب الناس فيه ، ويجعلهم يؤثرون الخير به على الشر به ، ويسل سخائم صدورهم ، ويمسح حفائظها ، ويصير له فى نفوسهم مكانا عليا . وكان يكثر من الشفاعة للمذنبين فيعفو المنصور عنهم ، فلا يكفرون بنعمة العفو ، ولكنها قلائد فى أعناقهم لا ينزعها حقد قديم ، أو سخيمة موروثة ، أو ثأر مبيت ؛ فكان بذلك يريح نفسه ويريح مولاه وصاحب نعمته : الخليفة المنصور ألا ترى أن بعض أهل فلسطين وثب على عاملها ، واستغوى بعض الناس ، فكادوا يشعلون نار الفتنة ، وعاثوا فى البلاد فسادا فلما علم المنصور بذلك كتب إلى عامله « دمك مرتهن إن لم توجه رأس تلك العصبة إلينا » فصمد العامل لهم ، وضرب على أيديهم لأن فى ذلك حقن دمه . وضمان بقائه فى عمله ، ثم قبض على رأس العصبة المفتونة ، ووجهه إلى المنصور ، فلما مثل بين يديه قال له : « أأنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين ؟! ، لأنثرن من لحمك أكثر مما يبقى على

عظمك » فقال له الرجل وكان شيخا بلغت به السن أقصاها :

أتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم ؟!

وكان الرجل لضعفه وشيخوخته ، ينشد البيت بصوت متهدج خافت ضئيل متقطع النبرات ، يكثر من الترجيع والتأتأة وقتل الحروف ، فلم يتبين المنصور ماقال ، وكان الربيع شاهداً المجلس ، فالتفت إليه المنصور ، وسأله عما يقول الرجل ، فقال : هو يقول ياأمير المؤمنين :

العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عني اليوم مصروف؟

فإنه غلبت عليه خيريته ، وأنشد بيتا غير الذى أنشده الرجل ، فيه اعتذار واستعطاف ، ألان قلب المنصور ، وخفف سورته ، وأزال غضبه ، فعفا عن الرجل ، وخلى سبيله ، وأمر الربيع أن يحتفظ به ، ويحسن إليه .

وظل الربيع وزيرا للمنصور حتى مات المنصور سنة ١٥٩هـ ، فأخذ البيعة للمهدى .

فلما تولى المهدى الخلافة ، ولى أبا عبيد الله وزارته ، وكان أبو عبيد الله قبل ذلك صديقا حميما للربيع ، وكان الربيع يحسن إلى أبى عبيد الله ويرفع موضعه عند المنصور ويناصحه ويكاتبه بما يحتاج إليه ، وينبهه إلى ما يصلحه ، ويكف عنه من يريد التشنيع عليه ، والنيل منه ، والقدح فى محله ، أو ذكره بخلاف الجميل .

فعل ذلك الربيع أيام كان أبوعبيدالله غائبا مع المهدى بالرى ، والمهدى ولى العهد . فلما استوزر المهدى أبا عبيدالله ، تنكر هذا للربيع ، ونسى معروفه أو تناساه ، فحز ذلك فى نفس الربيع ، وآله ، وأقض مضجعه ، حتى لقد حدثه فى ذلك ابنه الفضل ، فعض على ناجذيه ، وهز كفيه ، وغلا دمه ، ولمعت

عيناه؛ وبرقت ثناياه، وتأوه وزفر، وغار الدم من وجهه، وقال قولة المغيظ المحنق: «والله الذى لا إله إلا هو لأخلقن جاهى ولأنفقن مالى حتى أبلغ مكروه أبى عبيدالله». ثم جعل يضرب كفا على كف، ويتقلب ظهرا لبطن، ويضرب يمينا وشمالا فلا يجد مساغا. ولكنه فكر وأطال التفكير، حتى اهتدى إلى رجل اسمه القشيرى، كان أبو عبيدالله نال منه، وأساء به، ولم يعرف مكانه فجبه. أراد أن يستعين بذلك الرجل فى النكاية بأبى عبيدالله والإيقاع به، فاستحضره، وذكر له ما كان من أبى عبيدالله معه، وما ركبه به، ثم سأله حيلة فيه إن كانت له حيلة، ولكن القشيرى كان أعلم الناس بأبى عبيدالله، وكان على ما يبدو من قوله حازم الرأى، صادق المشورة، لم يندفع وراء هواه، ولم يفتن باستشارة الربيع إياه، فقال له متحدثا عن أبى عبيدالله: «ليس بجاهل فى صناعته، وإنه لأحذق الناس، وماهو بظنين فيما يتقلده، لأنه أعف الناس حتى لو كانت بنات المهدى فى حجره لكان لهن مرضعا، وليس بمتهم بانحراف عن هذه الدولة، لأنه ليس يؤتى من ذلك وليس بمتهم فى دينه، لأن عقده عقد وثيق، ولكن هذا كله يجتمع لك فى ابنه».

أعجب الربيع رأى القشيرى، فلم يتعرض أولا لأبى عبيدالله نفسه، لأنه فى حصن منيع من أخلاقه، وأدبه ودينه، وزهده وصلاحه وإخلاصه للخلافة إلا أنه حاول أن يأخذه من ناحية ابنه، ولكن عليه أن يحسن الحيلة.

وإن رجلا كالربيع استطاع بحسن حيلته، وحسن تأتيه للأمور، أن يفسد ما بين المنصور وبين وزيره أبى أيوب، واستطاع أن يغير المنصور على وزيره، حتى نكبه بالحبس ثم بالقتل — لا يعز عليه أن يفسد ما بين

أبى عبيد الله والمهـدى . إلا أن الفرق كبير بين أبى أيوب وأبى عبيد الله ، فإن الأول كان سيء السيرة . ولم يـكن مخلصا للخلافة ، فهو يرتشى ويسرق ، ويدس ويشى ويزور . وتحيط به حاشية من رجال السوء الذين لا يؤتمنون على سر ولا علن ، ولذلك قدم إلى الربيع الرمح الذى وجأه به عند المنصور أو هو الذى صنع ذلك السيف وشحذه ، وسلمه إلى الربيع فقدمه هـذا إلى المنصور حيث طعن به صاحبه — فعل ذلك الربيع من غير عناء كثير ، أو التجاء إلى مداراة أو مداورة ، والتمـاس حيـل ، وسفور تارة ، وتقنع مرة أخرى ، إلى غير ذلك مـن الأمور التى يلجأ اليها من يقدم على عظيم من الأمور . وأى شيء أعظم من محاولة تغيير سياسة دولة ، وتوجيهها وجهـة جديدة — أما أبو عبيد الله، فانه غير متهم فى دينه أو تصرفه أو بإخلاصه للخلافة أو كفايته ، ولـكن المتهم فى دينه والمرمى بالزندقة : ابنه ، فلتـكن نكبته من هذا الطريق لاغير، لأن سلوك أى طريق آخر غير هذا لا يصل به الربيع إلى مايريد من الانتقام من أبى عبيد الله ، فماذا يصنع ؟

٭ ٭ ٭

كثر المتزندقون فى أيام المهدى ، فجد فى طلبهم . وقسا عليهم ، وغلظ فى أمرهم ، فلا يعرف فيهم لينا ولا هوادة ، وكان عبـدالله بن أبى عبيد الله زنديقا قبض عليه فى مكة ، وحمل إلى المهدى ، فسأله : أزنديق أنت ؟ قال : نعم ، وهنا أتيحت الفرصة للربيع ، فلصق بالمهدى ، وتودد إليه ، واستغل غلظته على الزنادقة ، ولا سيما الذين يعترفون منهم بالزندقة ، فان هؤلاء ليس لهم عقوبة إلا تمـكين السيوف من رقابهم ، ثم حزها ، وابن أبى عبيد الله قد اعترف بانه زنديق ؛ فجزاؤه القتـل ، ولا حرج على المهدى فى ذلك . بدأ

الربيع يحفر فى قبر أبى عبيد الله ، فاقترح على المهدى أن يأمره بقتل ابنه بيده ، فسمع له المهدى ، وأمر أبا عبيد الله أن يضرب عنق ابنه الزنديق .

وهنا يؤلمك كل الألم أن يقف أبو عبيد الله هذا الموقف ، أيطيع خليفته ويذبح ابنه ، وحنان الأبوة يحول بينه وبين ذلك . فهو واقف بين عاملين قويين يتجاذبانه دفعا ومنعا ، فإخلاصه للخلافة يدفعه ، وحنانه يمنعه . ويقف الرجل بين هـذا وذاك ، مرتعد الفريصة ، جزع القلب ، هالع الفؤاد ، دامع العـين .

ولكن الرجل غلب عليه إخلاصه لخليفته ، وتمكنه من دينه ، وكأن زندقة ابنه هونت عليه أن يفعل ما أمر ، فتنحى بابنه ، وقبض على السيف بيديه ، ولما هم أن يضرب عنقه ، خانته قوته ، فزادت رعدته ، وجمد دمه ، ولم يقو على رفع السيف ، فكيف به يضربه ؟ !!! . كأنى به وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، ودارتا حوله ، فوجدهم يرقبونه من كثب ، فرفع وجهه إلى السماء ، وقال : يارباه ـ قوّ قلبى ، وارحم ضعفى ، وألهب فىَّ نار الإيمان وأشعل مصابيح اليقين ، فإما ذبحته ، وإما رحمتنى ورحمته . يارباه ـ أنت أرحم بابنى منى ، وأشفق على من نفسى ، فهيء لى من أمرى رشدا . يارباه ـ إنى أستلهمك الصبر على البلاء ، وأسألك النجاة من كيد الأعداء .

موقف يذيب القلوب ، ويصدع الأكباد ، ويشعل الشيب فى الرءوس!! موقف تضطرب له الأنفاس ، وتقشعر الأبدان ، ويشيب من هوله الولدان!! موقف ألان قلب العباس بن محمد ، فقال : يا أمير المؤمنين ـ شيخ كبير وله حرمة ، ويكفيك غيره ما أردته منه ، وسمعوا الشيخ يقول لابنه فى صوت تقطعه الزفرات : مابهذا أدبتك ، ولقد علمتك كتاب الله عز وجل .

أنفذ المهدى الشيخ واستدعاه ، ثم وكل آخر بابنه ليقتله ، وكأن الابن قد أثر فيه موقف أبيه ، وتأنيبه له ، أو أنه رأى السيف مصلتا على رأسه فنادى بالتوبة ، فلم يسمع له المهدى ، وكان قد سمع من غيره ، وتغافل عنه ، فلما قيل له فى ذلك ، أقبل عليه ، وقال له : « والله ما الله أردت بذلك انزعوا عمامته ، وجأوا فى عنقه ، فما زال يدفع ويوجأ فى عنقه حتى أخرج » . ثم مضى إليه من وكل به ، فأطار عنقه ثم دفن ولم يستقبل به القبلة .

نال الربيع بذلك من أبى عبيد الله ، ولكنه لم يشف نفسه ، ولم يبرد صدره ، ولم تسكن هائجته ، فهو لا يتم له ذلك إلا إذا رأى أبا عبيدالله منكوبا فى عمله وفى نفسه ، ولذلك أعمل فكره ، فهداه شيطانه إلى أن يوعز إلى بعض خدم المهدى أنه إذا دخل أبو عبيد الله على الخليفة قبض على سيفه ومشى بجانبه ، محافظة على حياة الخليفة منه ، فنفذ الخادم ما أراد الربيع ، فهذا أبو عبيد الله قادم إلى الخليفة ، وهذا هو الخادم يصحبه ويمشى إلى جانبه ، ويقبض على سيفه ، فأنكر أمير المؤمنين ذلك على الخادم ، ولكن الخادم يحفظ مالقنه الربيع من الجواب ، فيقول : « ياأمير المؤمنين قتلت ابنه بالأمس ، فكيف آمنه عليك أن يخلو بك ، ومعه سيفه اليوم ؟ » فرأى المهدى فى كلام الخادم كلام عاقل ، ووجد الكلام فى قلبه موضعاً كمن فيه ، فأوحش المهدى من أبى عبيدالله ، ولم يخسر الربيع شيئا غير ثلاثة آلاف دينار قدمها أجراً للخادم .

* * *

وكان من حظ الربيع أن يعقوب بن داود اتصل بالمهدى فى هذه الأثناء ورفع إليه نصائحه ، وتقرب إليه ، فتثاقل أبو عبيد الله ، وتقلل وأدل ، ولا سيما أن ما فعله به في حادث ابنه جعله يستوحش منه . واتصل الربيع بيعقوب

ابن داود ، وتمالأ الرجلان على أبي عبيدالله فكانت مكانة يعقوب تزيد ، ومكانة أبي عبيد الله تنقص حتى تولى يعقوب الوزارة مكانه سنة ١٦٣ هـ . وقصره على ديوان الرسائل ثم عزله وصرفه عن ديوان الرسائل أيضا سنة ١٦٨ هـ وقلده الربيع ويجوز أن يكون ذلك بتدبيره هو ويعقوب .

* * *

ولما مات المهدى أخذ الربيع البيعة للهادى ببغداد قبل وروده إليها ، فلما دخل الهادى بغداد قلد الربيع وزارته وتدبير أموره ، ثم لم يلبث أن صرفه عنها وخصه بديوان الأزمة ، ولم يزل مقرا عليه إلى أن مات سنة ١٦٩ هـ وسنه إذ ذاك ٥٨ سنة وصلى عليه الرشيد وهو ولى عهد .

وكان له مع الخلفاء مسامرات ، ومع الأدباء مناظرات ، ولذوى الحاجات شفاعات — غصت بأخبارها كلها بطون كتب الأدب ؟

محمد أحمد برانق

العقيدة الفاطمية

فى

شعر ابن هانىء الأندلسى

للأستاذ حسنين حسن مخلوف

ابن هانىء الأندلسى من أعظم شعراء العربية قوة ديباجة ، وامتداد نفس وقدرة بيان ، ومن أعظمهم تفننا فى تقليب الفكرة ، وتوشيتها لضروب الخيال فهو شاعر فنان من الطراز الأول . ولست هنا بسبيل تاريخ حياته ، ونقد أدبه . إنما أنا فى شأن شغلنى أمداً طويلا ، ووقفت حركة فكرى عنده فلم تتعين مراميه ، ولم تدرك أغراضه منذ عهد طويل . ذلك أنى أقلب دواوين الشعراء ، فإذا استعصى على بيت أو أبيات رضتها على فهمى مرة ، وعلى معاجم اللغة أخرى ، حتى يسلس قيادها . أما أبيات من شعر ابن هانىء ، فقد هالنى أمرها وعييت عن إدراك سرها . منها قوله يمدح المعز لدين الله الفاطمى حينما حل بمدينة رقادة بالمغرب :

حل برقادة المسيح   حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو البرايا   وكل شىء سواه ريح

وقوله لحامل مظلة المعز :

أمديرها من حيث دار لشدما   زاحمت تحت ركابه جبريلا

وقوله فى المعز أيضا :

ماشئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحـد القهار

عجزت عن فهم هذه الأبيات . فمعانيها يأباها الدين ، وتعد جراءة غير مستساغة ، فليس مما يرضاه الدين أن ينزل المعز فى رقادة فيقال إن الله والمسيح وآدم ونوحا حلوا بحلوله ، وكذلك صاحب المظلة يحميه من الشمس ، فيرى جبريل فى ركابه، وأن مشيئته فوق مشيئة الأقدار ، وهو الواحد القهار . ولا يقبل الذوق مبالغات من هذا النوع وكلما خطرت ببالى هذه الحيرة عمدت إلى بعض التراجم لطوائف من الشعراء فقرأت فيها ترجمة ابن هانىء فملتنى بكلام لا يشفى غليلى فمرة تقول : إنه شاعر كثير المبالغة . ومرة تقول : إنه شاعر كافر بالله .

امتد بى الأمد فى هذا الشك ثم قلت فى نفسى : أكان يرضى الممدوح خليفة رسول الله وأمير المؤمنين عن هذا الشعر ؟ لا بد أن يكون الأمر كذلك؛ لأن الشاعر المداح صدى لما يحبه الممدوح ويرضاه . إذن فالمعز شريكه فى الإثم إن كان آثما .

ففى الامر سر لا أعرفه . دعانى هذا التقلقل النفسى أن أجمع طائفة من ثنايا شعر ابن هانى فى المعز لدين الله وان أستقصى العلماء والأدباء عن كتب الشيعة والفاطميين خاصة ، فقرأت منها جملة لا بأس بها شفت نفسى، وهدتنى إلى مايرمى اليه ابن هانىء بهذه الأوصاف ، التى لا يعرفها جمهور المسلمين لخلق الله ، وإنما يعرفون بعضها لله وبعضها لمحمد عبده ورسوله . وإن إزجاء هـذه الخلال للخليفة الفاطمى هو تقرير للعقيدة الفاطمية ، وصدى لمـا يضطرب فى نفس المعز ، ورجال دولته ، ومن اعتنق مذهبه الفاطمى الإسماعيلى ، وأن ابن هانىء ليس إلا داعيا من دعاة الفاطميين ، يبشر بمذهبهم فى الناس وهو مكين عندهم مقدم فيهم . مضى الصدر الأول للإسلام وأهل بيت الرسول أحب الناس

إلى قلوب المسلمين ، فهم يتمثلون فى وجوههم وشمائلهم مظاهر النبى . وبعض خواصه الجسمية والنفسية ، فيزدادون لهم حبا . يتشممون أنفاسهم الطاهرة ويعطرون المجالس بعذب حديثهم ، ولا غرو فهم جزء من النبى ، وقبس من نوره . أما هذه الخيالات التى نسجت حولهم ، والأقداس التى حامت فى وجوههم والهرطقات التى نسبت إلى أتباعهم فهى سهام مسمومة ، صوبت إلى قلب الاسلام ، ففرقته شيعا وأحزابا ، وفشت فى الاسلام ألوان من الوثنية والدعاوى الكاذبة . وأعان على تلك الأقاويل المضخمة حول آل البيت ظروف سياسية مكنت لضعاف الثقافة القرآنية وللمتيمين بحب على وذريته أن يغلوا فى حبهم ماشاءوا ، حتى تحول خرافات يأباها الذوق السليم ، وينفيها دين الفطرة ، الذى دعا إلى توحيد الله ، ونبذ ما عداه من الأوثان والأصنام. فقد رأى شيعة على أنه اضطهد ؛ إذ تقلد الخلافة غيره بعد وفاة النبى ، فاشتد تعلقهم به. ثم لما كانت فتنة عثمان كان للمتعلقين بعلى ضلع فى قتله ، وإن كان على بريئا ثم هاج جمهور من المسلمين على على يحاول نزع الخلافة منه بعد بيعة صحيحة. كل أولئك سهل لبعض الناس أن يتعلق بعلى إلى درجة الكفر ، فقد روى التاريخ أن ابن سبأ قال بألوهية على ، فأحرق قوما منهم ، ونفى ابن سبأ إلى المدائن ، ثم كان حظ أبناء على سيئا فى طلب الخلافة ، فكان قتل الحسين شنيعا ، والاضطهاد ينصب على العلويين فى العصر الأموى والعباسى ، فكان كل أولئك سببا فى شدة تألم الأمة لما حل بآل بيت النبى ، فجرؤ الشيعة على تأليف تشكيلات سياسية ممزوجة بالدين ، تضمن أن تئول الخلافة إلى ذرية على مهما طال الزمن ، وأدى هذا التعلق إلى وضع أحاديث مكذوبة على النبى فى شأنهم وغلا اتباعهم حتى وضعوا مبادىء سياسية دينية ، أضافوا إليها تأكيدات تخرج بهم عن دين الإسلام ، حتى عد العلماء غلاة الشيعة خارجين على الإسلام. معدودين فى صف الكفار . قال ابن الجوزى — فى كتابه (تلبيس إبليس):

إن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرى ممن خالف عليا فى إمامته ، فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة ، ومنهم من يقول إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها. وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوما فقام رجل من آل على رضى الله عنه فقال : ياأمير المؤمنين أعدنى على من ظلمنى قال : ومن ظلمك؟قال : أنا من أولاد على بن أبى طالب والذى ظلمنى أبو بكر حين أخذ فدك من فاطمة. قال : ودام على ظلمكم ؟ قال : نعم . قال : ومن قام بعده ؟ قال : عثمان . قال : ودام على ظلمكم ؟قال : نعم . قال : ومن قام فجعل الرجل يتلفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب إليه (لأن عليا لما تولى الخلافة لم يرد فدك إلى آل الرسول)وغلو الرافضة فى حب على حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه .

قال الغزالى من رسالته فى الرد على الباطنية: (أما الجملة فهو أنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم فى قول الإمام المعصوم ، ، وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق ، لما يعتريها من الشبهات وأن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم ، يرجع إليه فيما يستبهم من أمور الدين . أما تفصيل مذهبهم فيتعلق بالإلهيات والنبوات والحشر والنشر)

نظمت هذه الدعوة الباطنية أو الإسماعيلية نسبة إلى جدهم إسماعيل بن جعفر الصادق فى أواخر القرن الثانى الهجرى فى جنوب فارس وكانت ترمى إلى غاية سياسية ، وأسفرت عن فوز القرامطة فى البحرين ثم غزت إفريقية بعد ذلك ، ونشأ عنها قيام الدولة الفاطمية فى أواخر القرن الثالث . ويرى بعض المؤرخين أن الفاطميين ليسوا من نسل فاطمة ، وإنما هم ملاحدة من المجوس وأن رئيسهم يسمى ميمون بن ريصان المعروف بالقداح . تظاهر بالإسلام والتشيع ، وانضم إليه كثير من غلاة الرافضة والحلولية الذين يقولون إن الإله حل فى على ، والأئمة المختارين من بنيه ، وحمل الدعوة بعد ميمون ابنه عبد الله ، فنظم الدعوة ، وكان يدعى العلم بالغيب والأسرار الروحية والعلوم

الخفية ويزعم أنها انتهت اليه من جده محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وهو عند الشيعة مستودع العلوم، والأسرار الخفية. ويقال إن عبدالله بن ميمون أو بعض ذريته جاء إلى مصر (١) ، ونشر دعوته فيها ، ثم رحل إلى المغرب وهنالك انتقل من عالم الخفاء وادعى أنه المهدى المنتظر ، من ولد فاطمة وتوارث الإمامة أبناؤه من بعده .

وإنما عرفت بالدعوة الباطنية لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا .

قلت إن التشكيلات السياسية المزدوجة بالدين للدعوة الفاطمية وقيام الخلافة على أساسها كانت محكمة جدا ،ويظهر أن الزمن الطويل علمهم التفكير الطويل،فظهر فى المغرب أبو عبد الله الشيعى داعى الدعاة يدعو لإمامة عبيد الله المهدى من نسل فاطمة الزهراء .

وكان أركان هذه الدولة أقوياء أشداء لايبرمون أمرا فى الجهر إلا إذا تشاوروا فيه فى السر وهم يعرفون أن جمهور الأمة الإسلامية سيزور عنهم فعملوا على استرضائه بالحيلة والدهاء حتى يصلوا إلى غرضهم من النفوذ السياسى ، وكذلك فعلوا فى مصر فقد نفر منهم المصريون ، فوزعوا عليهم الغلات والخيرات فعم الخصب والرخاء وتركوا حرية الاعتقاد موفورة للمسلمين من أهل السنة والنصارى واليهود وتعاونوا مع كل ذى مذهب .

ثم قويت روابطهم السرية وانتشرت فى العالم الإسلامى وينوب عن الخليفة فى هذه المهمة قاضى القضاة وداعى الدعاة حتى كانت الدعوة الفاطمية فى كل مكان من غير أن يشعر الحكام أو يحسوا . غير أن الهوس أدرك الحاكم بأمر الله فأعلن بعض مابطن من أمورهم ،فضج أهل مصر وانتهى الأمر بقتله والرجوع إلى الأنظمة السرية وجس النبض فى نشر الدعوة .

(١) رأى المقريزى أن نسبهم صحيح،لأن بنى على كثيرون ولاحامل لشيعتهم عن الاعراض عنهم والادعا. لابن مجوس.وإنما هذه دعوى من العباسيين .

وسياج الشيعة إلى اليوم هو مايسمى فى الدين بالتقية وهى أنهم أجازوا لأنفسهم ستر مافى نفوسهم وإخفاءه على الناس حفظا لأرواحهم وتعمية على من لم يكن مستعدا للتلقى فلست تجلس إلى شيعى من العراق أو إيران أو الهند إلا أرضاك فى الحديث .

ولقد صادف أن تعرفت بهندى من الشيعة العلماء وأفضنا فى الحديث عن مذهب الشيعة وأخذت أنقضه رأيا رأيا وهو فى كل ذلك موافق على ما أقول حتى استحييت من نفسى .

وسأشرح بعض أركان المذهب الفاطمى واستشهد على ماأقول بأبيات من شعر ابن هانىء .

(١) مذهب الحلول وادعاء علم الغيب :

الإمام ليس إنسانا كباقى البشر ولكن الروح الإلهية حلت فيه واتخذت صورته وهذه الدعوى سبق بها عبد الله بن سبأ فى على بن أبى طالب كما ذكرنا فيقول هؤلاء الإسماعيلية : إن الجزء الإلهى يحل فى الأئمة بعد على، وإن هذا السر يودعه كل إمام فيمن يأتى بعده وهكذا . ويزعم بعضهم أن روح الإله دارت فى الانبياء ثم فى الأئمة . فلا تخلو الدنيا من إمام إلى يوم القيامة ومادام الأمر كذلك فالإمام معصوم وإن لم يكن نبيا؛ لأنه ملهم من الله ومؤتمن على هداية الخلق بعد النبي . والإمام قائم مقام أمر الله وكلمته فى هذا العالم لجميع صفات البارى يصح أن يوصف بها فى زعمهم . وفى هذه الأغراض يقول ابن هانىء فى مدح المعز :

وأنت معد وارث الأرض كلها　　فقد حم مقدور وقد خط مكتوب
ولله علم ليس يحجب دونكم　　ولكنه عن سائر الناس محجوب

***

وما كنه هـذا النور نور جبينه　　ولكن نور الله فيه مشارك

***

حتى إذا استرعاك أمر عباده أدنى إليه أباك إسماعيلا
وورثته البرهان والتبيان والـــفرقان والتوراة والإنجيلا
وعلمت من مكنون علم الله ما لم يؤت جبريلا وميكائيلا
لولا حجاب دون علمك حاجز وجدوا إلى علم الغيوب سبيلا

***

الأئمة: خلقوا من نور يعلمون الغيب وهم علة الدنيا:

روى الشيخ موسى جار الله فى كتابه (الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة) قال: للأئمة على ماترويه أمهات كتب الشيعة كلمات ثقلت فى السموات والأرض. وإليكم أمثلة قليلة من تلك الدعاوى الكثيرة التى لم تكن تنبغى لنبى ولم تكن أصلا من النبى الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله وأمته وسلم. جاء فى كتابهم الوافى:

ا — كنا عند الله ربنا ليس عنده أحد سوانا مامن ملك مقرب ولاذى روح غيرنا ثم بداله فى خلق السموات والأرض فخلق ونحن معه.

ب — إن الله خلق أرواحنا من نور عظمته ثم خلق أبداننا من طينة مكنونة تحت العرش.

حـ — كان جعفر الصادق يقول: إنى أعلم مافى الجنة ومافى النار وأعلم كل ما كان ومايكون ولو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما فالإمام أعلم من الأنبياء.

د — ليس يخرج شىء من عند الله إلا ويبدأ برسول الله ثم بأمير المؤمنين على ثم بواحد واحد من الأئمة لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا. فالأئمة يعلمون كل العلوم التى خرجت إلى الملائكة والأنبياء والمرسلين وكل اللغات

هـ — خلق الله محمدا وعليا وفاطمة أول ماخلق فمكثوا ألف دهر ثم خلق العالم ثم فرض طاعة هؤلاء على العالم وفوض أمورهم إلى هؤلاء الثلاثة

فهم يحلون ماشاءوا ويحرمون ماشاءوا . والدنيا بجميع مخلوقاتها خلقت للإمام وهو هو علتها) .

نور محمد والأئمة خلق قبل نور العالم حتى يقال إن الله تعالى أخذ من بنى آدم ميثاق ولايتهم ، ونور الله الأزلى مازال متنقلا من إمام إلى إمام بعد النبى ﷺ حتى اتصل بالمعز وهو النور الذى توسل به الأنبياء فاستجيب دعاؤهم .

أما جبريل ملك الوحى فإنه نزل على محمد ﷺ ومن بعده لم يصعد إلى السماء بل بقى فى نورهم ممثلا .

قال ابن هانىء فى مدح المعز :

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلة ماكانت الأشياء
من شعلة القبس التى عرضت على موسى وقد حارت به الظلماء
من معدن التقديس وهو سلالة من جوهر الملكوت وهو ضياء
هـذا الشفيع لأمة يأتى بها وجدوده لجدودها شفعاء
هـذا أمين الله بين عباده وبلاده إن عدت الأمناء
فعليه من سيما النبى دلالة وعليه من نور الإله بهاء
نزلت ملائكة السماء بنصره وأطاعه الإصباح والإمساء

وقال أيضا : وفيه أن الإمام أفضل من الأنبياء .

لو كنت آونة نبيا مرسلا نشرت بمبعثك القرون الأولى
أو كنت نوحا منذرا فى قومه ما زادهم بدعائه تضليلا

وقال وفيه علم الإمام بجميع اللغات لأنه المترجم من الله إلى البشر :

لكم جامع النطق المفرق فى الورى فمن بين مشروح وآخر مبهم
إذا كان تفريق اللغات لعلة فلا بد فيها من وسيط مترجم

الكتمان وأن لكل ظاهر من القرآن باطنا : —

سبب الكتمان عندهم التقية والهرب من العقاب قبل أن يظهر أمرهم ثم صار ذلك لهم دينا وعقيدة . ولما كان الناس قسمين شيعة وحميرا . جعلوا علم القرآن الخفى خاصا بالشيعة فهم يؤولون القرآن على حسب ما يرى الإمام لأنه يعلم عن الله ما يريده من آيات القرآن الخفية . أما ظاهر القرآن فللحمير من غير الشيعة . جاء فى كتاب الكافى من كتبهم : —

سأل ثلاثة من الناس جعفرا الصادق عن آية واحدة فى كتاب الله فأجاب كل واحد بجواب . واختلاف الأجوبة فى آية واحدة كان يقع إما على سبيل التقية وإما على سعة التفويض للإمام ؛ فله أن يبين معنى الآية على حسب ما يراه .

اتخذ هؤلاء الغلاة حيلة الكتمان ليغيروا ويبدلوا فى الدين ، ولا يعلنون ما يفقهون إلا للخاصة فالله أعطاهم فهم ما لا يفهم الناس وعقول الناس ليست صالحة لتلقى كل العلم فهم يعلمونهم بقدر . وهذه الخطط السياسية الممزوجة بالدين يشاركهم فيها شيعة العراق وإيران والشام والهند غير أن العالم تغير ولا ثمرة للتعلق بالخلافة . قال ابن هانىء : —

واللّه خصك بالقران وفضله ... واخجلتى ما تبلغ الأشعار؟

وقال : —

وفى الناس علم لا يظنون غيره ... وذلك عنوان الصحيح المختم

إذا كانت الألباب يقصر شأوها ... فظلم لسر الله إن لم تكتم

وقال :

ماذا تريد من الكتاب نواصب ... وله ظهور دونها وبطون

وبالنظر فى هذه العقائد تفهم الأبيات التى سقتها فى أول المقال .

هذه جملة من عقائد الشيعة الغالية الإسماعيلية التى ملكت المغرب ومصر والشام وتسمت بالدولة الفاطمية وأرادت أن يعم حكمها العالم الإسلامى وأن ترث الخلافة العباسية ولكن الله اللطيف بعباده أرسل عليهم شواظا من نار صلاح الدين الأيوبى فعفى على آثارهم وقتلهم تقتيلا وأحرق كتبهم ولم يبق فى مصر من آثارهم إلا الأحجار والملك لله يؤتيه من يشاء.

حلوان حسنين حسين مخلوف

لحن الربيع

لحضرة الأستاذ خلف القاضى

أقبل أيها الربيع ! فقد اشتد البرد ، وألح تسكاب الوبل ، وطال حنينى إليك .

أقبل ! فقد تناوحت الرياح فى الغاب ، ودوى الرعد فى الفضاء ، ولمع البرق فى جوانب السماء ، وعشيت عينى من رماح النور فى الماء .

أقبل ! فقد نامت الطبيعة ، وهاجر الطير ، وجمد النهر ، وسكت الهزار وخبا ضياء السراج فى الواحة ،

أقبل ! فقد ذبل الزهر ، وذوى الغصن ، وغاب الثمر . . . .

أقبل ! فقد توقف الزحف ، وسكت المدفع ، وضل الراصد ، وتحطم الشراع ، وساد الظلام .

أقبل ! فقد توجع البائس ، وشكا الباسم ، وأشفق النبيل .

غـدا ! تستيقظ الأرض ، وتزدان بالزخرف ، فيورق الغصن ، وتزهر الجنة ، ويعشب السهل ، وتخضل الغابة ، ويربو النبت ، ويطيب الجنى ، ويحصد الحب الجديد

فقد جاء الربيع

غدا ! يجرى النهر ، ويفيض النبع ، ويهتف الصياد ، ويشدو الملاح ، ويدندن البستانى .

فقد توافدت مواكب الربيع

عودى أيتها الأطيار الهاربة ، وغردى ! وأسعدينا أيتها العنادل الصادحة

وترنمى بالنغم الشجى ، واهتفى بنداء الحرية.

فقد أقبل الربيع

تفتحى أيتها النوافذ الموصدة ، أو تغيبي أيتها الحجب والأستار المسدلة، ولتهنأ أيها القصر المهجور - بالأحلام السعيدة .

فقد وافى الربيع

انطلقوا أيها الرعاة فى السهول ، واملئوا الاودية ، غناء وتطريبا ، وراء قطعانكم .

فقد أشرق ميلاد الربيع

أيها الهاربون من الشمال إلى الجنوب ! اهجروا مشاتيكم النائية ، ودعوا مغانيكم الجميلة ، وحطموا مدافئكم الفاخرة .

لتحيوا طلائع الربيع

أيها المتعبون فى الحقل ، المرتقبون للغد ، انهضوا مرددين أغنية الحصاد.

وتقبلوا هدية الربيع

أيها الباحثون عن الخبز فى المدائن ، الصارخون من سواد العيش بالريف الحزين ! بشراكم اليوم .

فهذه سنابل الربيع

وأنتم أيها المزملون بالأثواب . الرافلون فى قطف الديباج ، المعبئون أنفسهم لحرب الشتاء ! تخففوا من أثقالكم ، وتحرروا من قيودكم

فقد تهادت شمس الربيع

وأنت ياصديق الشاعر ، المفتون بالطبيعة ، المعجب بالشفق الخجول ، الوضيء ، والضحا الجميل ! قل وداعا ياسحب الشتاء الجون ،

وأنشد لحن الربيع

أيتها الجبال الملفعة بالغمام ، المتوجة بالبرد ! جففي دمعك ، وتطلعي إلى الوجود ، رهيبة ، رصينة ، متعالية ، وامنحي الفنان إلهام السماء ...

ليشترك في تمجيد الربيع

أيها البطل الرابض في قلب الصحراء — تحرك . فقد سكنت العاصفة ، وأسمعنا دوى المدفع .

أيها المحارب الباسل ! الزاحف على النهر الجمد - تقدم ، فقد فاضت الأنهار ، وانسابت الجداول . فلتفجر قذائفك .

أيها الطيار المجهول ! الذى ضلله الضباب عن الهدف — دونكه ، فقد وضح الغرض ، وانزاح الكلف .

فلتنسف الحصون ، وليدمر السور ، ولتدك القلاع !

أيها البحار المغامر ! ارفع علمك ، وعد إلى مرقبك ، فقد هدأ الموج ، واستراح الإعصار ، فلنسمع صوت الحرب

أو نسعد بسلام الربيع

وأنتم أيها المتأنقون ! الذين يخشون البرد ، فلايستدفئون ، المحتفظون بالقفاز ، فلا يعملون — افتحوا الكتب - أشرعوا الأقلام

فقد تضوع عبير الربيع

أيها الزمن !

بالأمس البعيد ، كانت « أثينا » تقيم ألعاب الرياضة ، عند جبل الأولمب في فصل الربيع

وفى العصر الحديث ، كانت القاهرة تحتفل بعيدها الرياضى ، فوق ملاعب الجزيرة ، فى موسم الربيع .

في الماضي السحيق ، كان أقيال الفرس وسراتها ، يحتفون بالنيروز

« الربيع » ويتهادون بالورد فى عيدالورد .

واليوم – فى عهد الفاروق – تجي مصر الربيع .

فى معرض الربيع

أيها الزمن !

ظلم الناس ليل الشتاء ، فشكوا إليك طوله ، وتشكى المترفون ، من نهار الصيف وامتداده ، فرفعوا إليك قضية ، كنت فيها حكما عادلا ، فقضيت بين الظلمة والنور ، وساويت الليل بالنهار .

أيها الربيع

إيه ياساعتى النائمة من البرد ، الناسية للوعد !

هل تذكرين اليوم ، وتعود الحياة إليك بعد الموت ؟ .

قالت : إن العرب أحبوا الربيع مرتين ، فقالوا : ربيع الأول ، وربيع الآخر .

– : وأنت ؟

قالت : إنه الربيع الطلق .

عيد الأزاهير والريحان

وموعدنداء الكروان .

وعرس الزمان ، الحياة فيه كلها مهرجان .

هيا ! هيا ! يارفاقى !

هيا ! هيا ! ياسعداء

نستقبل الربيع ، فى ظلال الجنة والزهر .

نجي الربيع ، فوق الربا ، وحول النهر .

خلف القاضي

دراسة شعر اسماعيل صبرى

للأستاذ عبد العظيم على قناوى

(٢)

حافظ وصبرى :

فاضت روح فقيد الوطن مصطفى كامل فى حين تعلقت به آمال أمته ، ورنت إلى نور يقينه الوضاء عيونها فكان نعيه رجة عنيفة للوطنية الفتية ، وزلزالا شديداً للنهضة الناشئة ، وبكاه فيمن بكاه الشعراء بماءالعيون وعيون القصيد ، ومن البكاة الولهين عن عاطفة مشبوبة صبرى وحافظ ، فرثاه حافظ بقصيدتين إحداهما يوم دفنه والأخرى يوم « أربعينه » ورثاه صبرى يوم الأربعين بقصيدة يخيل إلى قارئها أنه يعارض بها قصيدة حافظ ، وسأجعل الموازنة بين قصيدة حافظ الأولى التى تكاد تكون مرتجلة لأنها بنت ساعات لاسيما وصبرى — كما أرى — يريد ذلك

قال صبرى فى مطلع قصيدته :

أجل أنا من أرضاك خلا موافيا ... ويرضيك فى الباكين لوكنت واعيا
وقلبى ذاك المورد العذب لم يزل ... كما ذقت منه الحب والود صافيا
سوى أنه يعتاده الحزن كلما ... رآك عن الحوض المهدد نائيا
ويعثر فى بعض الخطوب إذا مشى ... إلى بعض مايهوى فيرجع داميا
وإن رامه سرب المسرات لم يجد ... محلا به من لاعج الهم خاليا

وقال حافظ من قصيدته على قبره :

أيا قــبر هذا الضيف آمال أمة   فكبر ، وهلل ، والق ضيفك جاثيا
عزيز علينا أن نرى فيــك مصطفى   شهيد العـلا فى زهرة العمر ذاويا
أيا قــبر لو أنا فقدناه وحـــده   لـكان التأسى من جوى الحزن شافياً
ولـكن فقـــدنا كل شيء بفقده   وهيهات أن يأتى به العمر ثانيـــا
فيا ســائلى أين المروءة والوفا   وأين الحجا والرأى ويحـك هاهيا!

(١) بدأ صبرى قصيدته بذكر الصـداقه الوثيقة للفقيد ، وبأنه لو كان واعياً لرضى عنه باكيا كما كان راضيا عنه موافيا وهو مطلع ضعيف ، لأن الحديث عن وثاقة الصداقة حقه أن يكون فى العتاب لافى الرثا. ، وعبارة ويرضيك فى البـاكين متهافتة ، « ولو كنت واعيا » نابية لاتلتئم وجلال الفقيد ، ورهبة الموقف ، وثنى بوصف قلبه بالصفاء فى وده واستثنى من حال صفائه يوم اعتاده الحزن كأن الحزن ينافى صفاء القلب ، ومازال هذا شأنه فى وصف نفسه حينا وأثر نعى الفقيد حينا حتى انتهى إلى أن قلبـه أفعم بالحسرة وملىء بالهم فليس فيه لسرب المسرات محل خال وهو معنى جيد لو وضع فى أسلوب قوى : لأن « لم يجد محلا به من لاعج الهم خاليا » أسلوب مبتذل ضعيف .

(٢) بدأ حافظ قصيدته بخطاب القبر لأنه حياله ، ولأن فيه مهبط آماله ، وهو يريد أن يعرفه — إن كان جاهلا مكانة ضيفه وقد أحسن الخطـاب نوعا ما ، لأنه وقف وقفة الواله الواجد فقـد آماله ودفن أمانيه ، وجمع فى البيت الثانى ماتنتظمه قصيدة ، فوصف مصطفى بأنه مات شهيداً ، شهيد العلا فى زهرة الشباب ، وهى صفات لا تتجمع إلا فى فرد ، وخشى أن يجد عاذلا على شدة وجده ، ومن يذكره بأن جميع الخلائق إلى هلك ، فرد على أمثال هؤلاء بأنه لم يفقد مصطفى وحده ، وإنما فقد كل شيء فى الحياة ولو أنه فقده دون

الآمال الكثير ، والأماني البيض لنفع التأسي وأجدى التجلد ، وكأنه وجد من يزعم أن إنسانا واحدا لا يتصف بجميع الخلال النبيلة أو أن تلك الصفات معدومة فعلا وإن عرفت بأسمائها فقال لذلك الزاعم السائل : إن المروءة والوفاء والحجا والرأى متجمعة فى ذلك المسجى .

والذى أراه أن الأبيات وافرة المعانى زاخرة الأفكار وهى تشعر بفداحة المصيبة وجلال الخطب ، وقد تنقل فى المعانى تنقلا متئدا ، أما الأسلوب ففيه مآخذ ، كان جديرا بالمطلع التصريع لأنه دليل العناية وإن التمس العذر له بأنه فجع فشغل ، وبأن القصيدة ربيبة العاطفة لا بنت الصناعة ، كما أنه لم يكن يجدر به فى أول بيت أن يدعو القبر إلى التهليل والتكبير فى موقف الاسترحام والاسترجاع وإن اختلف حال القبر عن حال الشعب ، والشطر «وهيهات أن يأتى به العمر ثانيا» شطر متهافت جىء به لتمام البيت لا لجمال المعنى.

أغراض شـــعره

وخصائصه ، وبعض ما يؤخذ عليه

ينتظم ديوان صبرى باشا مائة وثمانين قصيدة ومقطوعة ، والمقطوعات أكثر من ثلثى هذا العدد وكثير منها لا يعدو البيتين، ولكن هذا القدر الضئيل من الشعر شمل أغراض الشعر الآتية :

المدح ، والهجاء ، والفكاهة ، والغزل ، والوصف والاجتماع ، والسياسة والشكوى ، والإلهيات والمراثى ، وبعض هذه الأغراض لم ينظم فيه أسلاف عصره من الشعراء ، فهو فيه مبدع مخترع لا تابع مقلد ، وقد أقل فى بعض تلك الأغراض وأكثر فى بعض ، وأبدع فى نواح وأقصر فى آخر ، وإقلاله وإكثاره ، وإبداعه وإقصاره يدلان على أنه كان شاعر عاطفة ومصور وجدان

لاشاعر صناعة ومصور ألحان ، وسنرى الحجج قائمة عند عرض نماذج لبعض أغراضه على قضيتنا تلك ، وأول مايلاحظه دارس شعره أن له نفسا طموحا وقلبا جموحا يتحكمان فيه تحكم المستبد ، ويقسرانه قسر الطاغية ، فيحملانه على الإجادة والإبداع ، فيوقع على قيثارة الحياة أحسن الايقاع .

فشعره فى الوطنيات والإخوانيات والشكايات والإلهيات بالغ قمة الجمال لأن هذه الأغراض تتصل بالقلب وتنبع من الشعور المتدفق ، وليشاركنى القارىء فى شعورى هذا أعرض عليه أبياتا فى تلك الأغراض .

سأعرض عليه غيرها فى الأغراض التى أظن أنه قصر فيها جودة ، وإن لم يقصر كثرة .

قال يستنجز الخديو عباس وعده بمنح الأمة الدستور :

كل الممالك نولت ماترتجى   من أنعم الشورى وملكك مطلق
مر بالذى صرحت قبل به وقل   واصدق فمثلك من يقول ويصدق
عوذت مجدك بالكنانة أن يرى   آمال قومك فيك لاتتحقق
كن راعيا يرعى الأسود فمن رعى   غنما يبت يخشى الذئاب ويفرق

يشعر قارى هذه الأبيات بجرأة جريئة وعزمة عازمة لاتخشى حنقا ولا تخاف حتفا فمن هو ذلك الذى يخاطب ولى الأمر بمثل تلك الصراحة ، ويذكره بوعده ، ويستنجزه إياه ويطلب منه أن يكون صادقا إذا وعد ؟ وأى دليل أقوى فى طلبته وأدعى إلى إنجاز رغبته من دعوة المليك إلى أن يكون راعيا للأسد فيطمئن إلى سلامة ملكه ويقر طرفه بسعادة شعبه ؛ لأنه يرعى أسودا تهاب، لاغنما تخاف عليها الذئاب ؟

وفى ذلك الغرض نفسه يستنهض الأمة لتتشبه بالترك فى طلب الدستور وهو عالم أثر هذا المطالب فى نفس السلطان فى ذلك الحين ، ويقول الأستاذ الفاضل جامع الديوان إن تلك القصيدة مرتجلة حينما سمع عن المرحوم شوقى

بك قوله فى افتتاح مجلس المبعوثان التركى :

مابين آمالك اللائى ظفرت بها ... وبين مصر معان أنت تدريها

فقال صبرى : لو أنصف شاعر الامير لأتم قصيدة بعد هذا البيت السابق بهذه الأبيات .

وإنى أشك فى هذه الرواية ؛ لأنى أستكثر أن تكون المعانى الزاخرة مرتجلة ، ولأن القصيدة تنم على روية فى ألفاظها فإن المرتجل قد يهفو فى مثل هذا الموطن الدقيق فيقع فى الحرج وعلى كل فلأن تكون مدبجة أفضل فى رأيى من أن تكون مرتجلة ؛ لأن المرتجل سائر ، والمتروى عالم ذاكر ماقد يئول إليه شعره ، وماقد يجره عليه من سخط وعدوان .

يامصر سيرى على آثارهم وقفى ... تلك المواقف فى أسنى مجاليها
لايؤيسنك ماقالوا وما كتبوا ... بين البرية تضليلا وتمويها
إن يمنعوا الناس من قول فما منعوا ... أن ينطق الحق بالشكوى ويبديها
الحق أكبر من أن تستبد به ... يد وإن طال فى بطل تماديها
ما ضيع الله ظلما أمة نهجت ... إلى المفاخر نهجا ، وهو هاديها

إن هذه الأبيات فى صدق لهجتها ، وصفاء نبعتها لتثير النفوس ،وتحفز إلى طلب الدستور المعقول وترسل الشرر المحدق على من يقف فى سبيله ، أليس الحق أكبر من أن تستبد به يد وإن طال تماديها فى الباطل ؛ وامتد سدرها فى الطغيان؟

ومن شعره السياسى اللاذعة فكاهته المصورة لحقائق الأمور دعابته ، الممضة حقيقته ، الصادقة النزعة غايته تلك الابيات التى أرسلها على السنة الوزراء والمستوزرين ، أو التى يستقبل بها الوزراء على أبواب وزرائهم فاستمع إليه حين يصور الحقيقة السافرة فى تلك الأبيات الثلاثة الساخرة عقب سقوط وزارة مصطفى باشا فهمى :

عجبت لهم قالوا « سقطت » ومن يكن مكانك يأمن من سقوط ويسلم
فأنت امرؤ ألصقت نفسك بالثرى وحرمت خوف الذل مالم يحرم
فلو أسقطوا من حيث أنت زجاجة على الصخر لم تصدع ولم تتحطم

وهو فى هذه الأبيات ينقد سياسة مصطفى باشا فهمى ويظهرها بمظهرها الحقيقى طغيان وتجبر من ناحية ، وضعف وخور فى أخرى،وماأجمل تصويره له بأن حياطة القوم إياه تجعله فى أمن أمين وحرز حريز من أن ينال منه الدهر بوضعه نفسه مع المهانة والذل وبخنوعه وخضوعه وإلصاق وجهه بالأرض ، وقال على لسان بطرس غالى باشا :

أصبحت فى حيرة وهم ما بين مصر وبين « فهمى »
هذى تنادى نداء عان تلاف أمرى وداو سقمى
وذاك يرجو رجاء خل له أياد علىّ تهمى
دعها تنادى بما تنادى وكن على خطتى ورسمى

ومما قاله على لسان وزارة المالية تحية لناظرها الجديدأحمد حشمت باشا:

« أبعدوا أحمدا » وجاءوا بثان ظلموه كما أراد الغشوم
فتسلمت خزائن المال مظلو م تولى وجاءها مظلوم

وفى هذا القدر من الشعر السياسى جده وهزله غناء عن الاستقصاء،ودليل على ما كان لمصر فى نفسه من وفاء وولاء وهو من الناحية الشعرية يصور الروح المصرية الساخرة ، ويبرز وفرة افتنانه ، وغزارة إحسانه .

وهذا غرض آخر منبته العاطفة كذلك ، وهو الغزل ، وإنه لينبع من عين ثرة ، فيجىء فيه بمعان أنضر من الزهر وأغلى من الدرر ؛ لصدوره عن نفس ملهمة ولانبعاثه عن قلب يجيد الترجمة .

قال من قصيدة عنوانها لواء الحسن :

أنت يم الحسن فيه ازدحمت ... سفن الآمال يزجيها الرجاء
يقذف الشوق بها فى مائج ... بين حالين : عناء وشقاء
شدة تمضى وتأتى شدة ... تقتفيها شدة . هل من رجاء؟
ساعفى آمال أنضاء الهوى ... بقبول من سجاياك رخاء
وتجلى واجعلى قوم الهوى ... تحت عرش الشمس فى الحكم سواء
أقبلى نستقبل الدنيا وما ... ضمنته من معدات الهناء
واسفرى تلك حلى ما خلقت ... لتوارى بلثام أو خباء

واستمع إليه يتحدث عن الأمانى يبلغ بها صاحبها عنان السماء حينما يضمه الليل ، فإذا ما فتح له الصبح ذراعيه انهار ذلك البناء لأنه يفتحهما له ليضم إليه ألوان الشقاء ، وحينئذ يقهقه القدر ويسخر منه الزمن ، ثم يدعو إلى أن يعرض الإنسان عن منادمة الأمانى ومعاقرة الآمال ؛ لأن نشوتها تعقب سكرة لا يضيق منها صاحبها إلا على اختيال وخمار فكم قربت من قاص تقف دونه الهمم الكبار وتقصر عن دركه العزائم الكثار ولن يغنى التصوير عن الصورة فإليك الأبيات :

نبيت من المنى نبنى صروحا ... وندعمها فيهدمها النهار
فيضحك ساخرا منا وقوفا ... على أنقاضها الفلك المدار
ذرينا من معاقرة الامانى ... يليها العمر من خبل خمار
فكم قربن من أمد بعيد ... تعثر دونه الهمم الكبار
وكم أولين من عال فدت ... إليه أكفها أيد قصار

وننتقل إلى غرض آخر أتى فيه بالمعجز للذاته وإن لم يكثر فيه ولو قد فعل لترك ذخيرة ثمينة فى الادب المصرى ذلك الغرض هو « إلهياته » وهذه قطعة بعنوان « بين الخوف من الله والأمن فى عفوه »

خشيتك حتى قيل إنى لم أثق ‏ ‏ بأنك تعفو عن كثير وترحم
وأملت حتى قيل ليس بخائف ‏ ‏ من الله أن تشوى الوجوه جهنم
فشأنى فى حالى يارب حيرة ‏ ‏ بها أنت من دون البرية أعلم
أقلنى من الشك الذى قد أحاط بى ‏ ‏ فشأنى فى حالى يارب مبهم
مر الحجب ترفع عنك أستقبل الهدى ‏ ‏ صريحا وينهج منهج الحق مجرم

سنسمع متزمتين يقولون: رجل يصرح بشكه، ويكرره، ويعلن زيفه ويؤكده، وإلى هؤلاء أتجه راجياً أن يتريثوا فى أحكامهم، فليس شكه فى ذات الإله الذى يخشاه حق خشيته، ويؤمل فيه أوسع الأمل، وإنما الشك فى الوسيلة التى يصل اليه بها، فيقولون، وتلك أخرى وقد جاء بالوسيلة الأنبياء، وكأنى بهم نسوا قوله تعالى «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء»، أفيكون نصيبه ممن يصيبهم غفرانه وتشملهم رحمته أم تكون الأخرى؟، وتلك هى ناحية من الشك والحيرة، وإلى أولئك أسوق عنه برهانا يصدع بالحق ويوهى جناح الباطل فى أبياته الثلاثة بعنوان «إلى الله»

تعالى الله لا يعلم كنه الله إنسان
أتبحث عنه فى واد ‏ ‏ ومنه الكون ملآن؟
أتنكره وأنت عليه ‏ ‏ إن فكرت برهان؟

ويكفى هذا الذى قدمناه من شعره دليلا على أنه كان شاعر العاطفة والوجدان وأنه لذلك — فحسب — قصر فى الميدان الذى لا يمتطى فيه عاطفته، ولا يستبق فيه بمشاعره، وهو ميدان برز فيه من ليس له مثل عزته، ذلك هو ميدان المديح ومايتصل به.

والآن أرى أن ألخص خصائص شعره لإتمام البحث فقط، وإلا فالقدر الذى قدم من شعره يتيح استخلاصها دون إجهاد كبير.

(١) يمتاز شعر صبرى بنصاعة الأسلوب ، وصفاء الديباجة ، وجمال الألفاظ ، وحلاوة الجرس .

(٢) يمتاز بتلك العاطفة المشبوبة التى تشب من بركان ثائر فترسل المعانى الخالدة تحيط بها هالة من الصدق .

(٣) فى شعر صبرى بديع يرتفع على البديع لأنه لا يشعرك به ، وإنما تشعر بالجمال لا يقيده قيد ولا يحده عنان .

(٤) يلاحظ فى شعره خاصتان تلازمانه : استعمال الاساليب الشعبية ، فيجيد الاستعمال ، وكثرة جمل الاعتراض فتزيده جودة وجمالا

(٥) فى الشعر الفكاهى جميعه روح المصرى الفكه البارع النكتة السريع البديهة الحاضر العارضة .

(٦) يظهر أثر منصبه القضائى فى شعره ، فكثيرا مايستقصى أولا ثم يحكم ثانيا ، وان يعوز القارىء إجماع تلك الخواص ، إلى أمكنتها من شعره .

بعض المآخذ على شعره

ظهر صبرى فى عصر لم تنضج فيه دراسة علوم اللغة ، فأتى فى شعره قليل من الكلمات المطعون فى عربيتها ، ولا يدرك حقيقتها إلا الثقات المطلعون ، كما وقع فى هفوات نحوية لا يلمحها إلا المتأمل ، وسأتناول بعض هذه وتلك ليتدبر عند قراءة شعره المتأدبون ويكفيه عذرا أنا فى هذا الحين الذى نهضت فيه اللغة نهضة مومومقة نرى كثيرا من أعلام القلم تند عنهم بعض هذه الهنات

(١) قال على لسان وزارة المعارف تحيى ناظرها الجديد سعد زغلول :

أهلا بسعد وسهلا ٭ بالحاذق الفيلسوف
رجعت بدراً منيرا ٭ مستهتراً بالكسوف

وفى الشطر الأخير مأخذان : استعمال كلمة مستهتر بمعنى « مستخف أو معناها « مولع » ووصف البدر بالكسوف ، وإنما يوصف بالخسوف .

(٢) وقال من قصيدة بعنوان « نداء إلى الأقباط » :

أدمع جاوزت مدى كل حزن وتخطت حـــدود كل عزاء
وعديد وراء كل خيال وعويل فى إثر كل هناء

فاستعمل كلمة عديد بمعناها العامى وهو ندب الميت ، ومعناها العدد ، أو الند ، أو رنين القوس ولا شك أنه لا يقصدها .

(٣) من قصيدة فى رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

وأفحمت بالبرهان كل مناضل لو انك لم تغضب لزاد تماديا
ففاءوا إلى الحسنى ولولم تحجهم لعادت زئيرا صيحةالقوم داويا

فاستعمل داويا بمعنى مدويا ، وهذا يوجب فعلا غير موجود بهذا المعنى والموجود فى لغة ضعيفة دَوِى يَدْوَى بمعنى مرض والوصف منه على فعل، وإنما الموجود دوّى الطائر ، ودوت الرياح ، فهما مدويان .

(٤) من قصيدة فى رثاء إسماعيل نجيب :

ولو طاوعتنى كل عين قريحة لما ذاب بعض الشاكلين بكاء
وعالجت إبراهيم مما أصابه « وداهمه » حتى ينال شفاء

وداهمه وهاجمه خطأ شائع صوابه دهمه وهجمه ؛ إذ المداهمة « مفاعلة من جانبين » غير متأتية .

(٥) ومن قطعة فى الغزل

إن قابلتك الصَّبا فى مصر « عاطرة » فأيقنى أنها عنى تنـــاجيك

وعطر الوصف منه على فعل لأنه من باب طرب ، وقد كررها فى قطع أخر .

(٦) ومن قصيدة فى رثاء عبدالله فكرى باشا :

يا من يغر بدنياه وزخرفها تالله يوشك أن يودى بك الغرر

أراد بالغرر الغفلة ومعناها الهلاك ولا يلتئم البيت بمعنى اللفظ الصحيح

(٧) ومن قصيدة فى رثاء بطرس غالى باشا :

فتشت ـ لما لم أجد مقلتى كفئا ـ عن الفضل ليبكى معى

فأتى بكفء بمعناها المتداول وهو القادر ومعناه المثل ، ولا يتسق المعنى لو استعملنا اللفظ على النحو الصحيح .

(٨) وقال من قطعة شكر المحتفلين به :

شكرا على مابدا من صدق ودكم فإننى من صميم القلب « ممنون »

فأتى بممنون بمعناها المتداول وهو الشكر ، وإنما هى بمعنى منقطع .

(٩) ومن الأخطاء النحوية تخفيف أنّ فى قوله :

وسموت حتى ظن أن لك حاجة عن السماك

وأنّ من شروط تخفيفها أن تقع بعد فعل يقين وهى هنا واقعة بعد ظن

(١٠) وقال :

لا تخل أفقك يخلفك الظلام به والزم مكانك لا يحلل به الكدر

فجزم يخلفك وهى واجبة الرفع لأنه لا جازم لها ولو استبدل بلا إن وبالواو الفاء فقال فالزم ما أخذ عليه شىء .

(١١) وقال

إن رمت شعرا هذه أفنانه يحملن من طيب الكلام زهورا

فأتى بجواب الشرط جملة اسمية غير مقترنة بالفاء ، والاقتران واجب .

(١٢) وقال :

أين صبرى من يذكر اليوم صبرى ؟ بعـــد أعوام عزلة وشهور

اسألوا الشعر فهو أعلم ، هلا أكلته الأسمـــاك طى بحور

أراد بهلا هل الاستفهامية ، فأتى بهلا التى تفيد التحضيض لا الاستفهام قاصداً هل وقد أرغمه على ذلك الوزن .

والآن أيرى المرحوم إسماعيل صبرى شيخ الشعراء ، وحبيب الأدباء أنه منسى لا يذكره أحد بعد أعوام عزلة وشهور أم يعترف بالوفاء لأبناء النيل فهم يذكرونه بعد أن ضمته حانية عليه الأجداث والقبور ؟

أنت صبرى طى القلوب بما خلـــدت من آى حكمة وشعور
وابن مصر الوفى لا يعرف الـ ـعرفان يطوى فى أعصر ودهور

عبد العظيم على قناوى

آيات الولاء

فى الاحتفال بعيد الميلاد الملكى السعيد

القصيدة التى القاها الاستاذ « محمود غنيم » فى المهرجان الأدبى الذى أقيم بدار الأوبرا مساء الخميس ١٢ فبراير سنة ١٩٤٢

للأستاذ محمود غنيم

يوم أعار الشمس بعض اياته(١) روت النجوم الزهر عن آياته
أحنى له التـاريخ مفرق رأسه وأحله فى الصدر من صفحاته
طافت به الأعياد تقتبس السنا من وجهه والطيب من نفحاته
يوم تفرد فى الزمان بمجده كتفرد الفاروق بين لداته
يايوم مولده تعـال مبشرا ضل السـلام عن الانام فهاته
الحرب قد لفـح البرية حرها فأظلها واديك من لفحـاته
والكون قد شبت به جمراته فنزلت قطـر ندى على جمراته
والدهر إن ثقلت عليه ذنوبه يكفيه أنك أنت من حسناته
يايوم مولده طلعت بكوكب ماانشقت الأبراج عن هالاته
وجلوت للدنيا محيـا ناضرا تتحير الأحـداق فى قسماته
مارق زهر الروض إلا خلتـه يحكى عن الفاروق بعض صفاته

(١) ايات الشمس شعاعها

إن الملوك تحب خشية بطشها ... لكن فاروقا يحب لذاته
وافى به الدهر الضنين كأنه ... نبع تفجر من أديم صفاته
فيه مخايل من أبيه لمحتها ... هذى لعمرى صورة من هاته!!
تعمير إسماعيل فيه عرفته ... وثبات إبراهيم فى وثباته
وتلوح روح محمد فى سبطه ... كالوجه حين يلوح فى مرآته

* * *

لله تاج يزدهى بجبينه ... قد ضم شمل الشرق بعد شتاته
مامصر كل جمانه لكنها ... حلت محل القاب من خرزاته
أعلام فاروق ترف ظلالها ... فى الشرق أجمع نيله وفراته
إن كان لم يملك جوارح أهله ... فقلوبهم من بعض ممتلكاته
أضفى على علم البلاد حماسة ... وسرى اليه العزم من عزماته
وأشاع فى عرش المعز فتوة ... حتى دجا ماابيض من شعراته
وكأنما الهرم استعاد شبابه ... رغم الالوف الخمس من سنواته
تفديه أمته وتهتف باسمه ... وتبر إن هى أقسمت بحياته
فى مستهل العمر صار لها أبا ... يحنو على أبنائه وبناته
بلغ الرجولة يافعاً فهو الفتى ... فى بأسه والشيخ فى نظراته
يهدى دهاقين السياسة رأيه ... وييسر مدلجهم على مشكاته
تتفزع الآساد من هباته ... ويفيض ماء النيل عند هباته
ويظل يدنى أفقه من شعبه ... حتى يكاد يظن من طبقاته
نسى اليتيم أباه تحت ظلاله ... ودعا له العافى بطول حياته
وتعثر الحافى على وجه الثرى ... فأقاله الفاروق من عثراته
مازال يشكو الداء حتى جاءه ... عيسى الذي يشفيه من علاته

ما عاق سير الشعب مثل الداء إذ ينسل بين حفـ ـاته وعراته

* * *

ملك إذا الإسلام عد حماته كان الطليعة فى صفوف حماته
نور الصلاح يلوح فوق جبينه والشعب يسعده صلاح ولاته
ان القساور فى المغاور تتقى من يتقى الرحمن حق تقاته
من يرض رب العرش فى ملكوته عنه تفانى الناس فى مرضاته
الله أكبر هل بصرت بركبه يمشى الهوينى غاديا لصلاته ؟
والشعب يدعو الله خلف ركابه حتى يهز العرش من دعواته
يحدوه جبريل الأمين مهللا وتسبح الاملاك فى خطواته
فكأنه فاروق يثرب نفسه يسعى بموكبه إلى جمعاته
قل للمشيد بعيد هجرة أحمد جددت عهد الفتح بعد فواته
هذا جهاد فى سبيل الله ما نضج الدم القانى على راياته
أين الحروب وأين قصف رعودها من لحنه الشاجى ومن نغماته ؟
عيد حسبنا أن روح المصطفى طافت مرفرفة على حفلاته
مارن فيه مدفع إلا شدا بمآثر الفاروق فى طلقاته

* * *

يارب يوم مر ماظفر امرؤ فيه بطيف الزاد أو بفتاته
ثارت نفوس الناس فيه ولن ترى كالشعب حين يصاب فى أقواته
حتى تجلت غضبة الفاروق فى وجه أعار الصبح بعض سماته
رفع الزئير وصاح شعبى ماله يشكو الطوى والتبر من غلاته ؟
قاد السفينة فى خضم مزبد يطغى الدم القانى على غمراته
وحدا الكنانة فى طريق لو سرى نجم به لم ينج من عقباته
بركان حرب مس مصر دخانه وكوى الشعوب بنار مقذوفاته

لولا هدى الحادى لضل الركب فى ... وادى الفناء وهام فى فلواته

* * *

فاروق لو فتشــت بين قلوبنا ... لم تلق قلبــا لست فى طياته
لاقلب إلا أحرف اسمك لحنه ... إن دق رتلهن فى دقاته
إن كان وادى النيل ينبت عسجدا ... فلأنت يافاروق خير نباته
مازلت ترعاه بمقــلة ســاهر ... يقظ ويغرق فى لذيذ سباته
فإذا شكا واديك كنت ملاذه ... وإذا بكى كفكفت من عبراته
وإذا كبا فعلى يديك نهوضــه ... وإذا تأوه كنت خير أساته
فاروق هذا لحن شعرى فاستمع ... نبرات صوت الشعب فى نبراته
لافضــل فيــه للخيــال ووحيه ... بل أنت رب الفضل فى أبياته
خاضت بحار الشعر بحرا زاخرا ... يطغى عليها من جميع جهاته
ولقد هتفت بمولد الفاروق فى ... شعرى فكن يادهر بعض رواته

محمود غنيم

فدريجو والصقر

للأستاذ عبد الرزاق حميدة

منشىء هذه القصة هو جيوفانى بوكاشيو (١٣١٣ — ١٣٧٥) تلميذ بترارك وأحد زعماء نهضة إيطاليا فى القرون الوسطى. كان بوكاشيو شاعرا أديبا وقصصيا مبدعيا. وقد ترك مجموعة من القصص خالدة فى كتابه «ديكمرون» الذى يعتبر تاجا على رأس القصص النثرى فى القرون الوسطى وقد أفاد منه كثير من زعماء الآداب الأوربية الحديثة، وبخاصة فى انجلترا أمثال تشوسر، ودريدن.

وفى القصة المسطورة بعد نرى شبحا لقصة عربية تروى فى كتب الأدب عندنا عن كرم حاتم. وهى أن قيصر الروم سمع بكرمه فأرسل إليه رسولا يسأله فرسا من كرام الخيل كانت عنده. فلما جاءه الرسول. ولم يجد عنده مايحييه به عمد إلى تلك الفرس فذبحها. فلما طلبها الرسول أسف حاتم أشد الأسف. وأخبره بما كان. فعجب من أمره وآمن أن ماسمعه عن حاتم أقل مما رأى منه.

ومما لاشك فيه أن النهضة الإيطالية فى القرون الوسطى قد استفادت من العرب وأن الأندلس والحروب الصليبية كانتا سبب هذه الاستفادة ومكانها ولامانع من أن يكون بوكاشيو مؤلف هذه القصة قد استفاد من القصة العربية ولو فى أصل الفكرة، على أن بوكاشيو كان شخصية نادرة، وكان ذكيا موهوبا قادرا على هضم كل مايعرف، وإعادته مطبوعا بطابعه الخاص فأنشأ هذه القصة وكأنها شيء جديد لم يسبق إليه. ولا شبه بينها وبين القصة العربية إلا فى

الكرم ، والجود بأعز ماعند البطل فى القصتين . فقد تكرم حاتم بفرسه، وتكرم فدريجو بطائره . وقد كانا أعز شىء عندهما .

على أن هناك تعليلا آخر لهذه القصة التالية ، هو أن بوكاشيو كان يريد أن يبين نوعا من العفاف لايعبأ بشىء ، ولا يأبه لشىء . وأن يظهر نوعا من الشرف فى بطلة القصة جعلها وفية لزوجها ، مخلصة له ، فلما دفعتها الضرورة والحب لابنها لم تنزل عن كبريائها ولا عن نبل أخلاقها . فلما ألحت عليها الضرورة نزلت على حكمها محتفظة بشرفها ، فتزوجت بمن أحبها بعد وفاة زوجها وابنها ، وعاشت معه عيشة زوجية سعيدة.

وفيما يلى هذه القصة :

كان فدريجو بن فيليبو شابا من أهالى مدينة فلورنسا ، وكان فارسا نبيلا لامثيل له فى مقاطعة توسكان بإيطاليا . وكان يحب سيدة تدعى «موناجيوفانى» من ألطف سيدات تلك المدينة — فلورنسا — وكان دائم التودد إليها ، يقيم من أجلها الاستقبالات الفخمة والحفلات الساهرة ، وحلقات المبارزة ، كى يكسب عطفها ، ويفوز برضاها . وكان يسرف فى الإنفاق على كل مايظنه مؤديا إلى رضاها ، أو محببا إلى نفسها . ولكن « مونا » كانت نقية عفيفة ، كما كانت جميلة لطيفة ، فلم تعبأ بشىء مما كان يفعله من أجلها .

وظل فدريجو يعيش هذا النحو من العيش : ينفق بسخاء . ويسرف فى الإنفاق ، ولا يظفر من محبوبته بشىء ، فضاعت ثروته سريعا ، ولم يبق عنده إلا مزرعة صغيرة جدا . وريعها قليل جدا .

واحتفظ من أيام غناه بصقر من أحسن أنواع الصقور فى العالم . ولما وجد ثروته لاتساعده على الإقامة فى المدينة كما يحب أن يقيم ، اعتزلها ، واستقر فى مزرعته ، مقيما على حبه ووفائه . وكان يخرج للصيد بصقره كلما سمح الجو

وقد احتمل نكبته وفراق محبوبته صابرا ، واجتهد أن يخفى فاقته عن الناس أجمعين .

حدث بعد ذلك أن مرض زوج السيدة « مونا » . وكان غنيا جدا ، فأوصى لابنه بثروته ، وكان ابنه وحيدا قد بلغ مبلغ الرجال . ثم أوصى لزوجته بهذه الثروة من بعد ابنه إذا مات الابن بلا عقب . ومات الزوج فى مرضه هذا ، وأصبحت زوجته من بعده أيما . فاعتزلت المدينة إلى الريف ، وكان منزلها فيه قريبا من مزرعة فدريجو . فاتصل ابنها به ، وقويت الصلة سريعا ، وكثيرا ما كانا يخرجان معا إلى الصيد بالكلاب والصقور . ورأى الابن صقر فدريجو فأعجب به جدا وتمنى فى نفسه أن يكون ملكا له . ولكنه كان يعرف مقدار حب فدريجو لصقره ، وفكر فى طريقة يطلب بها الصقر من صاحبه . أو يحمله على أن يهبه له فلم يهتد إلى طريقة .

ومرض الابن من أجل ذلك ، فشغلت أمه بأمره جدا إذ كان وحيدها . وانصرفت إلى خدمته ، والعمل على راحته . وكانت ترجوه دائما أن يخبرها بكل ماتشتهى نفسه ، وتعده أن تبذل كل جهدها فى إجابة طلبه ، وأن تجيئه بكل مايود ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ؛ عسى أن يبرئه ذلك من مرضه .

فلما سمع ذلك مرارا من أمه قال لها :

« ياسيدتى ، إذا وجدت حيلة نحصل بها على صقر فدريجو برئت حالا »

تحيرت الأم عندما سمعت هذا ، وشرعت تفكر فى أحسن وسيلة تتخذها وكانت تعرف أن فدريجو قد أحبها من زمان بعيد . وأنها لم تبد من جانبها أى تشجيع له . فكيف ترسل أو تذهب فى طلب هذا الصقر ، وهو كما سمعت من أحسن أنواع الصقور فى العالم ، وهو كذلك كل مابقى لصاحبه من هذه الحياة ، وكيف ترضى أن تحرم رجلا من هذا السرور الوحيد الذى بقي له فى الدنيا ؟

إنها كانت واثقة من الظفر بحاجتها عند أقل إشارة منها، ولكن الحيرة شغلتها حينا فحبست لسانها عن الجواب. ثم غلبها الحب المسكين لابنها، فأفاقت من هذه الحيرة وقررت أن تذهب إلى فدريجو مهما احتملت من عناء نفسي. ثم أجابت ابنها:

يا بني، طب نفساً، ولا تفكر إلا في استرداد عافيتك، وأعدك أن أذهب غدا من أجل الصقر، وسيكون ذلك أول ما أفعل في الصباح». وكان سروره بذلك عظيما جدا، حتى بدت عليه علامات الشفاء عندما سمع من أمه ذلك الجواب.

***

ذهبت «مونا جيوفاني» في صباح اليوم التالي ماشية إلى منزل فدريجو ومعها سيدة أخرى. وكان الوقت مبكرا، وفدريجو لم يخرج إلى الصيد بعد، بل كان يشتغل في حديقة منزله الصغير هو وبستاني. فما إن سمع صوت السيدة التي يحبها على باب منزله تسأل عنه حتى جرى إلى الباب مدهوشا، والسرور يملأ جوانحه. أما هي فتقدمت للقائه مع كثير من المجاملة. وبعد التحيات المعتادة قالت:

«صباح الخير أيها السيد. إني قادمة لأعوضك بعض الخسائر التي تحملتها في سبيلي. وقد أحضرت معي صاحبتي لنتغدى عندك اليوم» فأجاب فدريجو بشيء كثير من التواضع.

سيدتي، لا أذكر أبدا أني لاقيت بسببك خسارة ما. بل أذكر أني لقيت كل خير، وإذا كنت أهلا لخير في أي زمن فذلك راجع إلى قدرك العالي، وإلى الحب العظيم الذي أكنه لك. وأؤكد أن هذه الزيارة المؤنسة أحب إلي من عودة كل ما أنفقت. وهو لو عاد لأنفقته ثانيا. ولكنك جئت إلى منزل فقير، وهذا هو ما يؤسفني.

ثم أدخلها المنزل هى وصاحبتها . وقد تغـير لونه . ثم ذهبوا جميعاً إلى الحديقة حيث كان يعمل . ولم يكن عنده سيدة تلقاها وتحييها فقال لهـا وهو يشير إلى امرأة البستانى :

« يا سيدتى ، إنى أقيم وحدى فى هذا المنزل ، فتفضلى بقبول هذه السيدة الشريفة ، تؤنسك حتى أعد المائدة » .

لم يكن فدريجو — على الرغم من فقره الشديد — قد أحس بعد بإسرافه القديم . ولكنه لما لم يجد شيئا يقدمه لهذه السيدة — مونا جيوفانى — وهى التى أنفق من أجلها آلافا — تحير أشد الحيرة . ولعن الحظ البائس . وأصبح كالمذهول يصعد وينزل ، ويروح ويجىء . وهو لا يدرى لم يفعـل ذلك . ولم يكن معه درهم ولا مليم . ولا يحب أن يشعر أحد بما هو فيـه من بؤس حتى صديقه البستانى ، وكانت رغبته شديدة فى أن يقدم لهـا شيئا يليق بمقامها . وأخيرا وقع نظره على الصقر جاثما على وتد . فأخـذه فوجده سمينا ، ورآه يصلح طعاما مناسبا لمثل هذه السيدة النبيلة . فذبحه وأعطاه بنتا تنظفه بعناية وتشويه . أما هو فأخذ يعد المائدة ، ووضع عليها غطاء مما كان باقيا عنده من أيام الرخاء .

عاد إلى السيدة بعد أن أعد المائدة والغداء . وعلى محياه إشراق وابتسام ودعاها أن تتفضل فتدخل للغداء وهى وصاحبتها ، فدخلتا ، وجلسوا جميعا إلى المائدة . وشغل نفسه بخدمتها بينما كانت تتناول الغداء هى وصاحبتها ولا تعرفان أى طير تأكلان . ولما انتهى الطعام جلسوا يتحدثون فرأت « مونا » أن الوقت مناسب لتخبره بما جاءت من أجـــله ، وخاطبته بكل بشاشة وأنس قائلة :

« أيها السيد ، إذا ذكرت حياتك الماضية ، وموقفى منك ، وربما اعتبرته قسوة — فلا أشك فى أنك تعجب من جراءتى عند ما تعرف ما جئت من أجله

ولكنك لو كنت أبا ولك أولاد وعرفت مقدار حبنا لأولادنا لالتمست لى عذرا بكل تأكيد . إن كونى أما يضطرنى على الرغم من ميولى وعلى الرغم من كل عذر . أن أسألك شيئا أعلم أنك تقدره جدا لأنك لم يبق لك غيره تسلية أو راحة فى هذه الظروف العصيبة التى تحيط بك ؛ وأعنى به الصقر الذى عندك . إن ابنى قد جن به جنونا وإذا لم أعد إليه به خشيت على نفسه من التلف وخفت أن يقتله الحزن ؛ لهذا أرجوك ـ لا من أجل احترامك لى ، فليس هناك ما يحملك على هذا ، ولكن من أجل ما أعرفه عنك من كرم ـ أن تتفضل فتهب لنا هذا الصقر حتى أستطيع أن أتحدث دائما بانك أنقذت لى حياة ابنى ونعيش أنا وهو مدينين لك .

فلما سمع « فدريجو » طلب السيدة مونا وعلم أنه ليس فى استطاعته أن يجيبها إليه أخذ يبكى قبل أن يرد جوابا وظنت السيدة « مونا » أول الأمر أن سبب ذلك هو كراهته لفراق طائره العزيز وتوقعت منه الرفض الصريح ثم تمهلت قليلا فاجابها :

« أيتها السيدة العزيزة » إن الحظ لا يسعدنى أبدا معك منذ أن أحببتك وإن ما أشعر به الآن شديد جدا على نفسى . إنك هنا لزيارتى فى مسكنى الحقير الذى لم يكن يتوقع أن تتنازلى بالمجىء إليه فى أيام عزى ورخائى وقد طلبت منى هدية صغيرة وليس فى قدرتى أن أهبها وإليك قصتها باختصار :

إنى عند ما علمت بالشرف العظيم الذى خلعته على وهو شرف الزيارة ، رأيت من الواجب أن أقدم إليك خير ما أستطيع وأن أقدم شيئا أحسن مما يقدم عادة إلى الآخرين وتذكرت الصقر الذى تطلبينه الآن وطيب معدنه ورأيته مناسبا لمقامك وقد شويته لك ولم أحسب أنه يمكن أن يقدم إليك بطريقة أخرى وهذا يحزننى كل الحزن ولن يهدأ لى بال ما حييت .

ثم أراها ريش الطائر ورجليه ومخالبه فأخذت تلومه على ذبح مثل هذا

الطائر من أجل أى ضيف . ولكنها فى نفسها قدرته وأجلت منزلته ثم استأذنت منه .

* * *

عادت مونا إلى ابنها وقد ضاع أملها فى الصقر واشتد الحزن بالولد من أجل أمله الضائع فقضى عليه . وحزنت الأم عليه زمنا . ولكنها كانت غنية وصبية جميلة فألح عليها إخوتها أن تتزوج ثانيا . ولكنها رفضت أولا فلما طال إلحاحهم تذكرت فدريجو وذبح الصقر من أجلها فقالت لهم :

إنى أفضل أن أبقى أرملة ولكن بما أن رغبتكم شديدة فى أن أتزوج فلن يكون لى زوج إلا فدريجو .

وسخر إخوتها منها وقالوا انك امرأة ساذجة . إن فدريجو لا يساوى شيئا فى هذه الدنيا . فأجابتهم :

لعله كما تقولون . ولكن لن أتزوج غيره . فلما سمعوا اقرارها وهم يعرفون طباع فدريجو وكرم نفسه زوجوها منه . وأعطوه ثروتها . أما هو فقد أحسن تدبير أموالها . وكان لها خير زوج . وعاشا سعيدين .

عبد الرزاق حميدة

حنين الناى (١)

للأستاذ على عبد العظيم

المدرس بمدرسة الأميرة فايزة الثانوية

« سمعت ألحانه العلوية تنساب فى حواشى الليل فوق سماء القرية فيممت شطره فاذا هو فلاح عارى الأطراف خلق الثياب ... فكان هذا الفنان الفنى فى فترة الوسيم فى دمامته . الموهوب فى جهالته هو الموحى إلى بهذه الأبيات » .

حقيقة هى ، لا من نسج أفكارى   ياطيبها ليـلة عدت بأعمـار
طويتها فى ربوع النيـل منسكبا   مع الطبيعة فى سلسالها الجارى
فى قرية من ذرارى النيل قائمة   كبغية الفن فى ملتف أشجار
سجا الظـلام عليها فهى سابحة   فى مائج من غواشى الليـل هدار
وللنجوم وميض باهت غرقت   أضواؤه تحت طامى اللج زخار
وللأزاهير أنفاس مهومة   باح النسيم بها للجـدول السارى
وللدوالى أهازيج ملحنة   مصوغة من أغاريد وأسحار
والدوح يحلم والغدران ساجية   والطير غافية فى كن أوكار

***

فى هـذه الجلوة الفيحاء نبهنى   من شاردات الأمانى صوت مزمار
تفيض ألحانه من روح مبتئس   مشرد يتنزى تحت أطمار
الفن أغناه فى الدنيا ، وإن صفرت   كفاه من درهم فيها ودينار
كسته عبقر من أفوافها حـللا   تبقى على الدهر ، فهو المكتسى العارى

---

(١) مهداة إلى أستاذنا الجليل محمد على مصطفى بك.

في هدأة الليل لم تهدأ جوانحه ... إذا الهدوء طوى أجفان أغرار
طافت به نشوات الفن هاتفة ... تمس أعصابه بالجمر والنار
فأطلق اللحن بعد اللحن منتشيا ... ينساب تحت الدجى كالسلسل الجاري
أصغى له الليل مأخوذا بروعته ... وهب يرنو إليه الكوكب الساري
وأتلع التوت والصفصاف جيدهما ... وسددت لحظها أبصار نوار
واهتزت الطير في الأركان لامسة ... من نشوة الفن منقارا بمنقار
كأنه من فراديس الجنان سرى ... إلى الحياة بأنباء وأخبار

***

على الأثير سرى هيمان منتشيا ... كأنه ومضة من زندي الواري
يشق كالضوء أجواز الفضاء فما ... ينفك يتبع تسيارا بتسيار
يعلو فينصب في الأسماع مصطفقا ... كما تقابل تيار بتيار
ويستوي خافتا حتى لتحسبه ... همس النسائم في أسماع أزهار
وينتشي راقصا في أفقه مرحا ... رقص الغصون على أمواج هدار
كأنه عاشق لج الهيام به ... فانساب يخبط أنجادا بأغوار

***

كم صدحة في حناياه مدوية ... مصوغة من أحاسيس وأفكار
يحلو بها الكون في شتى مظاهره ... كالدهر يبدل أطوارا بأطوار
ففيه من كل لون لمح بارقة ... وفيه من كل هجس بعض آثار
إذا بكى ارفضت الألحان طافحة ... بصيب من سخين الدمع مدرار
وإن طغى ترك الأكباد واجفة ... كمرهف في يمين الدهر بتار
وإن شدا رددت ألحانه سورا ... عن العنادل في أضواء أقمار
لم تخل ألحانه من راقص هزج ... أو هائب وجل أو واثب ضاري

***

ما باله يعرض الأفكار سافرة ملموسة قيد أسماع وأبصار ؟
فقد يصورها فى زى يانعة من الخمائل تنمو فوق أنهار
يسرى النسيم على ألفافها خضلا معطرا بين أزهار وأثمار
ويصدح الطير فيها هاتفا مرحا كأن فى حلقه أوتار قيثار
وقد يصورها فى زى بادية مطموسة تحت سافى الترب مسوار
تستن فى قفرها الجنان صارخة تعج ما بين غواص وطيار
وتطلق الريح فيها كل عاصفة تصد فى الأفق إعصارا بإعصار

***

ورب لحن به فاحت فواغمه كغيضة بضفاف النيل معطار
يصافح القلب قبل السمع منسكبا مع الشعور سخينا فى الدم الجارى
كأنه من وراء اللون منبعث مسافر فوق آباد وأعصار
له حنان ندى الوقع مؤتلف أندى من الجو فى أعقاب أمطار
وومضة كنقاء القلب صافية أنقى من الطل فى أعطاف أزرار
ونفحة كفتيق المسك عاطرة أذكى من العرف فى ألفاف أزهار
وجلوة كمجالى العيد باسمة أبهى من العرس فى أحلام أبكار
دنيا من الفن لم تحفل جوانحها إلا بكل بديع الحسن سحار

***

أفديه لحنا من الفردوس منبعثا كروضة نسجتها كف آذار
فيه من الراح أكواب مشعشعة نقية لم تشب بالطين والقار
سليلة الضوء ما حلت بباطية من الزجاج ولا نيطت بخمار
تسرى القلوب على لألائها زمرا تحج ما بين طواف وزوار
روح من الملأ الأعلى تنزل من عليائه ليرينا قدرة البارى

***

يا موقظ الليل من أعماق غفوته ماذا أثرت بقلب مدنف وارى ؟
نبهت بين ضلوعى واهيا قلقا يحيا على جرف من عيشه هارى
ألوى به الدهر حتى ذاب من كمد إلا بقية أحلام وأوطار
يا طالما هام بى فى الكون معتسفا محلقا بين أحداث وأخطار
ولج بى فى شعاب الدهر مقتحما سرائر الغيب فى عنف وإصرار
طفقت أسرى به حيران ملتهفا كأنى ذرة فى جوف إعصار
إذا الاصائل مستنى بطارقة زادت عليها غواشى الهم أسحارى
أبغى الهدوء ومن لى أن أفوز به وقد جرت بفنون النحس أقدارى؟

***

إنى – وإن كنت فى آلى وفى وطنى – لمستطار غريب الآل والدار
أعيش فى عالم من نسج أخيلتى خواطرى فيه أخدانى وسمارى
إذا حننت إلى الصهباء صافية فيه ترشفتها من فيض أشعارى
وإن صبوت إلى الجنات وارفة غرست أيكتها فى روض أفكارى
أنال فى الوهم ما أبغيه من أمل ولو تحجب منى خلف أسوار
حتى إذا انتبهت عيناى من سنتى وجدتنى بين أنياب وأظفار
كأن صوتى والأحداث تخنقه همس الضمائر فى أسماع فجار

***

يامرسلا نفسه فى الناى هائمة ككوكب بسماء الفن سيار
بالله قل لى : لم استبدلت صادحة من اليراع بأخدان وسمار ؟
تبيت تشكو لها والناس فى سنة ما آدمتنك من وقر وأوزار
تصغى إليك فتروى كل ما امتزجت به حياتك من خصب وإقفار
كأنها مهجة فاضت مشاعرها برائع من بديع الفن مختار
هى الصديق بدنيا ليس يعمرها سوى قلوب من الإخلاص أصفار

تنسيك ألحانها لؤم الحياة وما   تجرى به من حماقات وأكدار

* * *

ياصاحبي هات كأس الفن مترعة   أحلى من الأرى فى أعواد مشتار
ورو نفسى بفيض من سلافتها   تشدو له فى حنايا القلب أوتارى
وقف مع الدهر فى محراب صومعتى   وأنصتا لأغاريدى وأسمارى
ورتلاها على سمع المنى سورا   كما يرتل آيات الهدى قارى
وسطراها بألفاف القلوب فلم   أهتف بها لتوارى بين أضبار
نظمتها فى فم الأيام أغنية   ولم أصفها لتثوى بين أسفار
ياحبذا العيش لو ضمت جوانحه   من البرية أشباهى وأنظارى

* * *

من علم الناس أحلامى فرتلها   ومن أذاع له مكنون أسرارى ؟
ومن أسر إليه كل هاجسة   دقت عن اللمح فى أعماق أغوارى؟
أيعلم الغيب أم يفضى إليه به   ومض من الفكر لم يحجب بأستار؟
أم بات يرقب أفلاكى برصده   أم راح يسبر أعماقى بمسبار؟
أم أنبأته يراعى بالذى علمت   منى وألقت إليه كل أخبارى؟
لا بل أصاخ إلى قلبي فطارحه   شجوا بشجو وتذكارا بتذكار

* * *

مابالة يرسل الألحان ساعرة   كمارج من شواظ النار موار ؟
بها حنين إلى الماضى يلج به   كما تحن كراوين لأوكار
لعله حن للأوطان مدكرا   منابت الغاب فى شطآن أنهار
أم بات يروى عزيف الريح فى قصب   من غابه أم يحاكى سجع أطيار
كأنه ساحر ألقى إلى يده   من باحة الخلد داود بمزمار
أو شاعر لبق أهدى الربيع له   طرائف الحسن من عون وأبكار

أو بسمة فى فم الأيام أو حلم من النعيم تهدى بعد إقتار

* * *

ياساهدا بفناء الليل معتكفا فى قدسه كرهابين وأحبار
تعال ننعم بما فى الفن من متع جلت مآثرها عن كل مقدار
تعال نهصر من الدنيا غضارتها ونقتطف من جناها خير أثمار
القلب ظمآن لايرويه من ظمأ إلا سلافة فن منك زخار
لاتخش من جانبي عجبا ولا صلفا فلست إلا أخى فى الفن أو جارى
الفن وحد قلبينا ولا عجب فالفن يربط أقطاراً بأقطار
وكم يؤلف أشتاتا مبعثرة وكم يقرب أمصارا لأمصار؟
وكم يخلد أرواحا محلقة وكم يواصل أعمارا بأعمار؟
الناس لولاه آلات مسخرة فى العيش أو نصب من صم أحجار

* * *

هى الفنون أطاحت كل طاغية عن عرشه وأذلت كل جبار
لها عيون وراء الغيب نافذة ليست ترد بحجاب وأسوار
إذا خبت نارها فى الأمة انحدرت على شفير من الأخلاق منهار
وإن زكت فى حماها عز جانبها وأقصر الدهر عنها أى إقصار
وليس يصلح لاستصلاح مملكة غير امرىء نافع بالفن ضرار

* * *

ياهائما ليس يرضى بالثرى سكنا وليس يقنع فى الدنيا بمضمار
أرسلت نفسك فى الألحان هائمة تروى القلوب بعذب منك مدرار
تالله ما أنت فى الدنيا سوى ملك وإن تجليت فى أثواب أكار
فاصدح وغن ولا تحفل بطارقة من جاهل نزق أو شانىء زارى
ففي لهاتك أوتار مقدسة يصغى لها الدهر فى زهو وإكبار

لو أنصفتك الليالى فى تصرفها لكنت ملء قلوب ملء أبصار
وكللتك بتيجان منسقة مضفورة من جنىّ الزهر والغار

(٥)

ياصاحبى دعك من إعنات سابلة قد دنسوا خلقهم باللؤم والعار
خالوا الفنون تهاويلا مزوقة فقابلوها بإزراء وإنكار
عاشوا عبيد الثرى فى زى آلهة وكم عبيد تردوا ثوب أحرار؟
أسرى البطون يكادالحرص يمسخهم من كل مفترس أو كل ختار
يلوون ألسنة بالهجر ناطقة كأنها مدية فى كف جزار
لو أنهم تخذوا الجنات منقلبا لدنسوها بأوشاب وأقذار
دعهم يهيمون كالأنعام فى سنة فهم بفهم المعانى غير أجدار

(٥)

مابال كوكبنا الأرضى مرتكسا فى جاحم من شواظ الحقد موار
لاتطلع الشمس يوما فى جوانبه إلا على فلك بالنحس دوار
أجن أبناؤه أم أنهم مقتوا حضارة أسسوها منذ أعصار
عادوا إلى شرعة الغابات واتخذوا دستورها وتناسوا شرعة البارى
وأشعلوا بينهم للحرب جائحة لم ينج من شرها غاد ولا سارى
وسخروا العلم للتدمير فابتكروا صواعقا تلتظى بالصلب والنار
ففى السماء أساطيل مدوية وفى الخضم رواس ذات تهدار
وفوق متن الثرى جن مسلسلة تدب كالهول فى هضب وأغوار
طاش الأنام فشبوها مدمرة قد لاتغادر منهم أى ديار

٭٭٭

أين العقول تداوى كل جائحة من الشرور وتهدى كل غدار؟
أين الفنون تؤدى من رسائلها وحى السلام بهذا الكوكب الوارى؟
رحماك يارب إن لم تطف جذوتها فلا بقاء لفجار وأبرار!!!

على عبد العظيم
مدرس بالأسرة فائزة الثانوية

حنين مسلتين

Hostalgies d'Obélisques

للشاعر الفرنسى تيوفيل جوتييه Théophile lyautier

بعد أن تغادر حدائق التويلرى،المغروسة أمام متحف اللوفرترى ميدان الكونكورد أجمل ميادين باريس .

فى وسط هذا الميدان الفسيح الحى تنهض إحدى المسلات المصرية ، وقد أقيم قريبا منها على الجانبين فوارتان ، وإذا أنت وقفت أمام هذه المسلة رأيت عن يمينك la Msdeleine ، وعن يسارك مجلس نواب فرنسا ، مطلا على نهر السين ، وأمامك طريقا يصل إلى غابة بولونيا .

منذ زهاء ثلاثة وثلاثين قرنا ، أنشا هذه المسلة وأختها إمبراطور مصر رمسيس الثانى ، حيث أقامهما عند باب معبد الأقصر ، وقد ظلت المسلتان معا واقفتين أمام هذا المعبد الضخم ، حتى القرن الماضى ،حينما أهدى محمد على الكبير إحداهما إلى ملك فرنسا لويس فيليب ، وهى القائمة الآن بميدان الكونكورد ، وأما المسلة الثانية ، فظلت حيث أنشئت وحيدة .

أنشأ الشاعر الفرنسى تيوفيل جوتييه قصيدتين :إحداهما على لسان المسلة الغربية بباريس ، والأخرى على لسان المسلة المقيمة بالأقصر .

وتيوفيل جوتييه من أدباء القرن التاسع عشر ، ولد فى أوائله ، وبدأ حياته رساما ، ثم ترك ريشة المصور إلى قلم الاديب ،غير أنه قدظل فى الأدب رساما كذلك

وهو يرى أن من صحة الأدب أن ينافس الفنون الأخرى كالرسم ،

والتصوير ،والحفر ، فيما تتناوله من الموضوعات وقد حقق فكرته فى ديوانه Rmaux et Camées ، فموضوعاته تصوير لما تراه العين ، قبل أن تكون تصويرا للإحساس والشعور ، فتراه يصور لك فيه مثلا ، تمثالا فى متحف أو آنية مزخرفة ، أو باريس تغطيها الثلوج إلى غير ذلك من صور تراها العين .

وهو الذى أذاع نظرية الفن للفن ، فأهم شىء عنده هو الجمال الفنى والأسلوب أما الفكرة والأخلاق ، فنى المرتبة الثانية ، ولقد كان قدوة لغيره فى استخدام الأساليب الدقيقة المصورة ، ولعلنا نوفق يوما إلى دراسة مذهبه فى الفن ونقد هذا المذهب .

ولم يقتصر تيوفيل جوتييه على قرض الشعر ، بل له قصص صغيرة ، وروايات مطولة ، منها رواية كتبها عن مصر تسمى : قصة المومياء le Roman de la Momie وصف فيها حياة مصر القديمة ومجدها .

وقصيدتا المسلتين بديوانه الذى تحدثت عنه ، وهأنذا أنقلهما إلى اللغة العربية نثرا ، محافظا كل المحافظة على ما قصد إليه الشاعر من أفكار وصور .

— ١ —

مسلة باريس

١ — فى هذا الميدان أتضجر ، أنا المسلة المبعدة عن أختها . الجمد ، والصقيع والرذاذ ، والمطر ، بردت جنبى الذى علاه الصدأ .

٢ — وقمتى الهرمية العتيقة ، التى كانت محمرة فى أتون سماء ذات لهب ارتدت بالشحوب ، من حنينها إلى الوطن ، فى جو ، لا يزرق أبدا .

٣ — أمام التماثيل الضخمة العابسة ، وأعمدة بيبان الأقصر ، لم لا أقف الآن قريبة من أختى ذات اللون الوردى !!

٤ — غامسة فى الزرقة الدائمة رأسى الهرمية القرمزية ، وكاتبة خطا الشمس بظلى فوق الرمال .

٥ — مليكى رمسيس ، كاد الخلود يتصدع ، يوم تدحرج جسمى الجميل مقتلعا ، كعود من عشب . باريس تتخذه لعبة !

٦ — الديدبان الصخرى حارس الآثار الضخمة يقف بين معبد[١] كاذب قديم ، وبين مجلس النواب

٧ — فوق مقصلة [٢] لويس السادس عشر ، أقيم صخر نسى مغزاه ، وفيه سرى الذى نسى منذ خمسة آلاف عام .

٨ — العصافير الطليقة تدنس رأسى ، التى كان يطير مسرعا حولها اللقلق الوردى ، والصقر ذو الريش الأبيض والمناسر الذهبية .

٩ — نهر السين الأسود ، مأوى مياه الطرقات ، النهر القذر ، المكون من صغار الجداول ، دنس قدمى التى كان يقبلها عند فيضانه النيل والد الأنهار .

١٠ — النيل العملاق ذو اللحية البيضاء المحفوف بنبات اللوتس والخيزران والذى يصب منبعه المنحدر تماسيح بدل صغار الأسماك .

١١ — العجلات الذهبية المطعمه بأصداف كالنجوم ، عجلات الفراعنة العظام الأقدمين كانت تمر بجانبى ، أنا المجروحة الكبرياء برؤية عربة الكراء مقلة آخر[٣] ملوك فرنسا .

١٢ — قديما أمام حجرى العتيق ، كان الكهنة الأبرار ، قلنسواتهم على جباههم ، يتمشون فى المحراب المقدس الخفى ، ذى الرموز المصورة المذهبة

١٣ — أما اليوم فأنا عمود ليست له قداسة الدين ، أقيم بين فوارتين ، وتمر بى بنت الهوى صريعة فى مركبتها .

---

(١) هو معبد La Madaleine

(٢) تقوم المسلة المصرية بباريس فوق المكان الذى أعدم فيه لويس السادس عشر بالمقصلة .

(٣) هو لويس فيليب

١٤ — أرى طول العام مراكب الموسرين ، و(النواب) أتباع سولون[٤] ذاهبين إلى دار النيابة ، والفجرة منطلقين إلى غابة بولونيا .

١٥ — أفٍّ ، فى مائة عام ، أى هيا كل عظمية قبيحة ، سيصير إليها هذا الشعب الماجن المجنون ، الذى يرقد من غير لفائف فى لحد يغلقه مسمار .

١٦ — ليس له تحت الأرض مقابر فى مأمن من الفساد ، تلك المراقد التى ينام فيها الموتى جيلا بعد جيل .

١٧ أيتها الأرض المقدسة ، أرض الهيروغليف ، وأرض الأسرار الكهنوتية ، حيث آباء الهول تشحذ مخالبها على زوايا قواعد التماثيل .

١٨ — وحيث النواويس ترن تحت الأقدام ، وحيث العقبان تبنى عشاشها . إنى أبكيك يامصرى القديمة بدموع من (جرانيت) .

— ٢ —

مسلة الأقصر

١ — هأنذا أسهر حارسا وحيدا ، لهذا القصر الكبير الخرب ، فى وحدة أبدية ، وأمام اللانهاية .

٢ — إلى أفق لايحده شىء ، أفق مجدب صامت لانهاية له ، تنشر الصحراء تحت الشمس الحزينة ملاءتها الصفراء .

٣ — وفوق الأرض العارية تبدو السماء ، وهى صحراء أخرى زرقاء ، نقية تامة النقاء ، لاتسبح فيها قطعة واحدة من السحاب .

٤ — النيل ذو المياه الكدرة ، التى ينعكس الضوء فوق أديمها ، كأنما هو قشرة رصاصية — يلمع مكسر الصفحة بغرس النهر ، تحت أضواء عمودية شاحبة .

٥ — والتماسيح الشرهة إلى الاقتناص ، تكاد تنضج فى جلودها فوق الرمال الملتهبة للجزيرات — تغرب فى الضحك بما ترسله من الزفرات .

٦ — واللقلق ، منقاره إلى حوصلته ، ساكن فوق قدمه النحيلة ، يقرأ

(٤) تهكم

على قاعدة بعض الأعمدة والألقاب المفترسة للمعبود : توت .

٧ — والضبع يضحك ، وابن آوى يموء ، والصقر كأنه فاصلة سوداء في صفحة السماء النقية — جائع يصرصر ، راسما دوائر في الهواء .

٨ — ولكن ضوضاء هذا القفر ، يحجبها تثاؤب تماثيل أبي الهول ، متعبة من احتفاظها السرمدي بالسكون .

٩ — ضجر خلقته الأشعة البيضاء ، تنعكس فوق الرمال . والشمس المتلألئة على الدوام ، وأي ضجر يشبه ما يبعثه نور الشرق الحزين ؟!

١٠ — هنا الهواء لو يجفف يوما دمعة في عين السماء الجامدة ، والزمن متعبا يتكىء على هذه القصور الصامتة.

١١ — ليس عندي ما يغير وجه السرمدية ، فمصر في هذا العالم الذي يتغير فيه كل شيء تتربع فوق عرش الثبوت .

١٢ — عندما يسار في الضجر ، أتخذ الفلاحين والموميات التي عاصرت رمسيس رفقاء وأصدقاء .

١٣ — هاأنذا أرى عمودا ماثلا ، وتمثالا ضخما بلا وجه ، وزوارق ذات قلاع بيضاء ، صاعدة هابطة في النيل .

١٤ — كم (١) أتمنى أن لو كنت كأختي ، قد نقلت إلى باريس العظيمة ، وغرست في ميدان هناك ، قريبة منها لأتسلى .

١٥ — إنها ترى هناك شعبا حيا ، واقفا نقوشها ، وخطوطها المقدسة ، التي يسبح الفكر لدى قراءتها في عالم الأحلام .

١٦ — الفوارتان المقامتان بجانبها ، تقذفان رذاذهما الملون بألوان قوس قزح ، غبار صخرها القرمزي الذي عاد إليه الشباب .

١٧ — لقد نحتت مثله من الصخور الوردية بأسوان ، غير أنني بقيت في مكاني القديم . إنها حية ، أما أنا فقدمت .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

---

(١) هنا تقصو مسلة الأقصر على الامسريين ، ولكن لعل في هذه القسوة عظة وذكرى [المترجم].

مدرسة الشعر الحديثة

بين الكهول والشباب

يقوم بيننا جماعة من إخواننا الشعراء الشبان، يتخذون اسم (مدرسة الشعر الحديثة) علامة على مذهبهم فى الشعر؛ وأهم مايتحدثون به فى بيان مذهبهم أن الشعر ظاهرة نفسية للشاعر، إذ يعبر عما يجرى فى نفسه ويخالطها من شعور وإحساس تعبيرا صادقا، ويصوره تصويرا تنبض به شاعريته، وتبدو فيه شخصيته واضحة السمات.

وما أحسبهم يدعون أن هذه الفكرة من إبداعهم. فهى القضية التى نافح عنها رجال الأدب فى مستهل هذا الجيل، بل هى السور الذى نفخوا فيه لبعث الأدب العربى الحديث. وإنما هؤلاء الشباب يستجيبون لها استجابة عملية، ويعملون بما تدعو إليه، إذ وجدت بذورها فى نفوسهم تربة صالحة، على اختلاف حظوظهم من الخصب، والغاية المرجوة لتلك الدعوة الأولى هى هذه الثمرة التى يرجى لها الإيناع.

ثم أعود لأقول: لم يتسمى هؤلاء الشبان بمدرسة الشعر الحديثة؟ أوليس يفيض بالإحساس وتتجلى فيه شخصية الشاعر غير الشعر الحديث؟ إنهم أنفسهم يقولون: إننا نسمح لرجل كامرىء القيس أن يجلس على مائدة الشعر الحديث، ولا نسمح لبعض المعاصرين أن يمر بالباب. وهذا جميل معجب، ولكن (الحديث) كلمة زمنية لاتجرد من الزمن حتى يجرد الشعر من الشعور.

لقد كان رجال الدعوة الأولى يعيبون على معاصريهم من الشعراء أنهم يحاكون دون أن يصدروا عن إحساس شخصى فى أكثر مايجيئون به:

يلبون الدعوات إلى حفلات التكريم والتأبين وغيرها أكثر مما يستجيبون لداعى أنفسهم ومايشعرون ... وكانوا يدعونهم إلى حرية الحس والعاطفة واستلهامهما ، ويهيبون بهم ألا يقفوا عندالمشاعرالجامدةالعامةالتى تستجلب التصفيق من الجماهير .

لذلك أطلق عليهم اسم (المدرسة الحديثة) لأنهم دعوا دعوة حديثة ارتاع لها قوم أساءوا بها الظن ، أو الفهم ، أو استفزهم ماند فى حواشى الدعوة من جموح الأقلام فى بعض الأحيان ، فكانت معارك (القديم والجديد) وغيرها من وقائع الأقلام المشهودة .

ولا أظن أننا اليوم بحاجة إلى أن نعيدها جذعة ، وهى إن عادت فإنما تجىء فاترة عقيما ، فإنه لا يمترى اليوم أحد فى أن الأدب الحق هو المعبر عما فى النفس ، المصور للواقع أو المحلق فوقه ، حيث تصبو النفس للكمال ، وأن مايجىء به بعض الناس (على اختلاف نزعاتهم من محاكاة للقديم أو ادعاء للتجديد) جامدا لاروح فيه ، أو جامحا لاعقل له ، إنما يجىء كذلك لقصور الملكة وقصور الهمم على المحاكاة ، أو تكلف الإتيان بشىء جديد،لا لأنهم يخالفون (فى الرأى) الأساس السليم للأدب الصحيح .

ثم أعود ثانية لأقول لإخواننا شعراء المدرسة الحديثة :

لم تتسمون هكذا فيهذر الهاذرون باسم الجديد وتحت راية الحديث ؟

ولم تتسمون هكذا فيجانبكم شعراء يجرون على ماتقولون به ويجيدون ، كيلا ينسبوا إلى الهاذرين من أدعياء التجديد ؟

ولم تتسمون هكذا وأنتم تعدون فى زمرتكم كل شاعر صادق وإن كان قديما ، أى أنكم تسقطون فى مذهبكم حساب الزمن وتتقيدون فى اسمكم بالزمن إذا كان لابد من (الحزبية) فى الشعر فلتكن مدرستكم : مدرسة الشعر الأصيل ، أو الصادق ، أو مايشابه ذلك .

وبعد فلست أدرى لم تنصرف همم شعرائنا إلى الخلاف على غير شىء، والانتقاص الجزاف، أى غير المبنى على نقد صحيح، حتى لا نكاد نجد شاعرا يعترف بوجود غيره. لعل علم هذا عند علماء النفس فيما يسمونه (مركب النقص).

وقبل أن أضع القلم أعود إلى ماوقع منه فى مقتبل هذه الكلمة من أن شعراءنا الشبان يستجيبون لدعوة الكهول استجابة عملية ويعملون بما تدعو إليه، فتحرير المراد أنها أمنية، وأن هذه الأمنية لم يحققها الكهول: فلقد أعجبتنا دعوتهم، وطربنا لبيانهم لها، وتقبلنا هدمهم لخصومهم. ولكننى لا أرى نتاجهم الشعر يلبى دعوتهم هم إلى مذهبهم فى الشعر، ولا أرى لهم بنيانا يطاول ماتصدوا لهدمه (١) وإنى لأرجو لشبابنا حظا أحسن، ونتاجا أوفق لدعوة الشعر الأصيل مما نالته من قبل.

عباس حسان خضر

المدرس بمدرسة مكارم الأخلاق بشبرا

---

(١) لشبان المدرسة الحديثة إنتاج ذائع بصور آرائهم والحكم بأنه لايلبى دعوتهم يتطلب الدليل الفنى (التحرير)

فهرست

العـــدد الرابع من السنة الثامنة